الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعــة مولـود معمري تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التّخصص: الأدب والمجتمع الجديد.

مذكرة مقدمة لاستكمال نيل شهادة الماستر

عنوان المذكرة:

صورة الفرد الجزائري في نظر الغرب

رحلة إلى الجزائر

«إلى بلاد الشّمس» لـ غي دوموباسان أنموذجًا.

إعداد الطّالبتين:

- فاطمة صديق.
- ليلة بوفرڤان.

إشراف الأستاذة:

- د. خالد عيڤون.

أعضاء لجنة المناقشة:

أ. طراحة زهية .....رئيسا.

د. خالد عيڤون .....مشرفا ومقرّرا.

أ. مرابطي صليحة ..... عضوا ممتحنا.

السنة الجامعية: 2014- 2015.

الإهداء

إلى أجمل قلب للمحبة وأوسع صدر للطمأنينة، إلى التّي شجّعتني على العزيمة ومنعتني من العزيمة أمي الغالية نعيمة.

إلى الذّي زرع في نفسي بذور الإيمان وأيقظ في قلبي المحبة والاطمئنان، هو الذّي علّمني حبّ العلم، شجّعني إلى الأمام رغم الآلام أبي العزيز: سعدي.

إلى أولئك الذّين رسموا في ذاكرتي أجمل اللّحظات وأسعد الأوقات:

- صونية وزوجها وإبنيهما: ياسين، روميساء.
- نوال وزوجها وإبنتيها: سلسبيل وأنفال.

إلى اللواتي وقفن إلى جانبي في أصعب الأوقات: كاتية، كنزة، مليسا ولتيسيا.

إلى قرة عيني: سيد أحمد شوقي.

إلى الذّي اختاره المولى عزّ وجلّ شريكا لي في هذه الحياة: رضوان حفظه الله من كل شرّ، وكلّ أفراد عائلته الكريمة.

إلى صديقة الطفولة: لامية وكلّ أفراد عائلتها.

إلى رفيقتي في هذا البحث "ليلة" التي تعبت معي وسهرنا اللّيالي لإنجاز هذا البحث المتواضع وكلّ أفراد عائلتها.

إلى كل صديقة عرفتها في الجامعة وكانت مخلصة ووفية بمعنى الصّداقة، تشاركنا معًا الأوقات السّعيدة والتّعيسة كلّ باسمها.

إلى خالي سيد أعلي، زوجته، أبناءه.

إلى كل طلبة المعهد وأساتذته خاصة: أساتذة الأدب والمجتمع الجديد الذّين تأثرت بهم وسيبقون دومًا في الذاكرة.

شكرا لكم جميعا.

فاطمة.

الإهداء

إلى أحن وأجمل ما في الوجود، إلى التّي يذوب قلبي شوقا لرؤيتها

والتّي تعايشت مع اللّيالي لأجلي، أمي ذهبية أطال الله في عمرها.

إلى الأغلى ما في الكون، وأغلى ما تردّده الشّفاه، أبي العزيز،

سعيد أطال الله في عمره.

إلى إخوتي وأخواتي: مزيان وزوجته وإبنته: إيناس.

إلى كوسيلى وجيڤجيڤة (جي جي).

إلى أمفيد ولينذة.

إلى أختي الغالية كاتية بئر أسراري.

إلى خالاتي كلّ باسمها.

إلى صديقاتي العزيزات: طاوس، حياة، رزيقة، حياة.

إلى رفيقتي في هذا البحث والتّي تحملتني في مواجهة الصّعوبات

"لامية" وإلى كلّ أفراد عائلتها.

إلى أعزّ الأصدقاء: مبروك، سليم.

إلى كلّ من له صبر كبير ومنحني الثّقة الكبرى وله الفضل في

تحقيق منايا، وجعلني دوما أرتقب ما هو افضل لي، الإنسان الطّيّب،

وإلى كل الطّيّبين أهدي هذا العمل المتواضع.

شكرا لكم جميعا.

ليلة.

شكر وعرفان

نتقدم بجزيل الشّكر وعمق التّقدير والاحترام إلى

الأستاذ المشرف الدّكتور: خالد عيشون، الذّي كان

عونًا وقدوةً، لم يبخل علينا بوقته، والجهد والتوجيه

والنّصح والمعونة.

فإليه نزجي كلّ عبارات الامتنان والشّكر والتقدير.

شكرا.

إنّني رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلاّ وقال في غده.

لو غير هذا لكان أحسن.

ولو زيد كذا لكان يستحسن.

ولم قدّم هذا لكان أفضل.

ولو ترك لكان أجمل.

وهذا ما أعظم العبر.

وهو دليل على إستيلاء النّقص على كافة البشر.

عن / العماد الأصفهاني.

الطّالبتان:

فاطمة صدّيق

ليلة بوفرقان

تيزي وزو. جوان-2015.

مقدّمة

المقدمة:

الإنسان هذا اللّغز الغريب، كان دائما وما يزال موضع التّأمل والدّراسة، وظلّ موضوعاً أساسيّاً ورئيسيا لكثير من العلوم الطّبيعية والإنسانيّة والأنتروبولوجيا والإثنوغرافيا و السيكولوجيا على حدّ سواء، ولم لا يكون هذا الاهتمام والإنسان جزء جوهري من منظومة الكون والوجود؟ ناضل عبر الزّمن من أجل اكتشاف نفسه واكتشاف الكون المحيط به من جهة والتّعرف على أقرانه من البشر من جهة أخرى.

ومن هنا جاء الاهتمام بالأنثروبولوجيا، التّي تشير في أبسط معانيها إلى أنّها العلم الشّمولي الّذي يدرس الإنسان من كافّة جوانبه (الطّبيعية، الثّقافية والاجتّماعية)، فمن الأنثروبولوجيين من يدرس الحقائق العلمية التّي تكشف عن الإنسان الأوّل، ومنهم من يهتم بدراسة العادات والتّقاليد وتراث الشعوب الأخرى وخاصة منها البلدان التّيعانت من ويلات الغزاة الأجانب، ما دفع بالمستشرقين أن يبدعوا ويحركوا أقلامهم الأدبية بالتّغني تارة بإيجابيات هذه البلدان وتارة أخرى محاولة تشويه صورتها لدى العالم.

ومن أهم هذه البلدان نذكر بلد الجزائر الذّي كان محل إهتمام العديد من المستشرقين والأدباء الغربيين، فهي جزء من إفريقيا الشّمالية وبوابة لها، مطلة على الحوض الأبيض المتوسط، فتعتبر من أهم البلدان المتسقطبة للسيّاح وذلك لما لها من مناظر خلابة وموقعها الإستراتيجيالهام، بالإضافة إلى تاريخها العريق وبطولاتها التي لا تزال إلى يومنا هذا، تتداول على ألسن الغير، ما لفت انتباهنا كتابة المستشرقين الغربيين عن الجزائر أشياء
تخل بسمعة ومكانة هذا البلد، فحين يغلب الضّعفاء والمحرومين على أمرهم يبقى أملهم في التّاريخ لينصفهم، لكن المشكلة فيمن يكتبون هذا التاريخ هل هم منصفون؟ إلاّ أنّ على الباغي تدور الدّوائر وتنزل الدّواهي والأيّام كفيلة بأن تفنّد كل المزاعم.

إنّ بحثنا هذا يتناول موضوع: "صورة الفرد الجزائري في نظر الغرب" فارتأينا اختيار نص الرّحلة: "رحلة إلى الجزائر" (إلى بلاد الشّمس) للكاتب الفرنسي "هنري رينيه ألبرت غي دوموباسان" فساعدتنا الرّواية التّي اتخذناها كأنموذج لإظهار نظرة الأوروبي إلى الجزائر.

سبب اختيارنا لهذا الموضوع دون غيره نظرا لما لنا من ميولاتواهتمامات بالمجال الأنثروبولوجي،كون هذا النّوع من الرّوايات معروفة لدى الغربيّين ومهملة عند غيرهم، وهذا النموذج غير معروف عندنا. فحاولنا التّعريف به كوننا أبناء هذا الوطن. تناولنا فيه النّظرة الدّونية للغرب للفرد الجزائري، وذلك بالإعتماد على تحليل نص الرّحلة الذّي خدم الموضوع بإدراج ما يحويه من عتبات داخلية وخارجية.

ويعالج بحثنا إشكالية مهمة تتجلى فيما يأتي:

- ما الدّافع الذّي جعل موباسان يعنون رحلته "رحلة إلى الجزائر" (إلى بلاد الشمس)؟ فيم تتمثل رؤية الكاتب؟ ما الهدف من كتابته عن الجزائر؟ وهل روايته تنقل حقًّا وقائع حقيقية أم هي من نسج خياله؟ إلى أي مدى كان الكاتب موضوعيًّا وذاتيًّا في كتابه؟ وما هي صورة الفرد الجزائري من المنظور الغربي؟
- اقتضت علينا منهجيّة البحث إتّباع المنهج التّحليلي الوصفي كوننا بصدد تحليل رواية "إلى بلاد الشمس" التي تحمل في طيّاتها عدّة أحداث، فكان الكاتب يسرد ويصف لنا ونحن قمنا بالتحليل.

أمّا بخصوص محتوى البحث فيتشكّل من مقدمة وفصلين وخاتمة، ورد الفصل الأوّل بعنوان الأنثروبولوجيا الذّي ينقسم إلى ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأوّل عنونّاه: بالأنثروبولوجيا وفيه تطرّقنا إلى: الخلفية التارخية للحقل اللأنتروبولوجي، مصطلح الأنثروبولوجيا، فروعه، مجالاته، أهدافه، خصائصه وصعوباته.

والمبحث الثاني عنوانهالاستشراق، تناولنا فيه: المدخل، مصطلح الإستشراق نشأة الاستشراق، مراحله، الاستشراق السلبي، الاستشراق الإيجابي.

أمّا المبحث الثالث: موباسان الرحّالةوالأنثروبولوجي، الراحل إلى بلاد الشمس: الذّي ينقسم إلى العناصر الآتية: أدب الرّحلات، نبذة عن الأدب الفرنسي، السّيرة الذّاتية للكاتب، تقديم الكتاب، تلخيص الكتاب، تلخيص مقدمة المترجم، دراسة الصورة الأدبية.

وعنونا الفصل الثاني: تحليل رواية "رحلة إلى الجزائر" "إلى بلاد الشمس" الذي ينقسم إلى مبحثين، أولهما العتبات الداخلية:الذّي خصّصناه المدخل، التعريف بمصطلح العتبات النّصية، أنواع العتبات النّصية، دراسة العتبات الداخلية من حيث:البنية الزمنية، المكانية، بنية الشخصيات، الثقافة من حيث:العادات والتقاليد،الطقوس الدينية، دراسة الصور والدلالات: المزاب، اليهودي،المرأة،دراسة صورة الفرد الجزائري في نظر الغرب ، تقنية الروبورتاج.

وثانيهما بعنوان: العتبات الخارجية: دراسة الغلاف الخارجي من حيث: العنوان، اسم الكاتب صورة المرأة الموجودة في الغلاف،واسم المترجم.

توصلنا في الأخير إلى استخلاص أهمّ النّتائج والمتمثلة في:

- رواية رحلة إلى الجزائر "إلى بلاد الشمس"، لغي دوموباسان تلخّص لنا النّظرة الدّونية والعدائية للعربي.
- إظهار الكاتب الفرنسي الصّورة الأوروبية بأجمل حلي، وتشويه ووصف الجزائر بأبشع الصّفات في نظر الآخر.
- ظهور العتبات النّصيّة (الدّاخلية والخارجية) بدءًا من عنوان الرّواية والعناوين الدّاخلية التّي ساعدتنا على الفهم الجيّد لها.

- اهتماموباسان بالأماكن أكثر من الشخصيات يندرج في إطار الإستراتيجيّة الاستعمارية.

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها والّتي لها علاقة مباشرة بموضوع بحثنا:

- غي دوموباسان، رحلة إلى الجزائر (إلى بلاد الشمس).
- إيريك وولف، أروبا ومن لا تاريخ لهم.
- إسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللّغة.
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير).
- كلود ليفي ستروس، الإناسةالبنائية.
- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع.
- حبيب بوزوادة ،المجلة الثقافية الشهرية ،الإبداع و الحقيقة في الأدب الكولونيالي

http./www.alukah.net/SHARIA

أثناء إنجازنا لهذا البحث، صادفتنا عدّة صعوبات منها:

- الوقت الذي لا يكفي لمثل هذه الدّراسات.
- ندرة المراجع باللّغة العربية الّتي تخدم الأنثروبولوجيا فتوجب علينا التنقل إلى المعاهد الأخرى وإلى المكتبات العامة بغرض جمع المادّة.
- ندرة البحوث التي تخدم المدونة.
- وفي الأخير نتوجه بشكرنا الكبير للأستاذ المشرف "خالد عيقون" الّذي كان له الفضل الكبير في إتمام هذا البحث، كما نقوم بتوجيه شكرنا الخالص إلى لجنة المناقشة الموقّرة التي سهرت من أجل قراءة هذا البحث.

فاطمة وليلة: 16 /2015/06

الفصل الأول: الأنتروبولوجيا

المبحث الأول: الأنتروبولوجيا: الخلفية التاريخية، للأنتروبولوجيا، مصطلحها، فروعها، مجالاتها، أهدافها، خصائصها، صعوباتها.

المبحث الثاني: الإستشراق: المدخل، مصطلحه، نشأته، مراحله، إيجابيات وسلبيات الإستشراق.

المبحث الثالث: موباسان الرّحالة والأنتروبولوجي (الرّاحل إلى بلاد الشّمس): أدب الرّحلات، نبذة عن الأدب الفرنسي، السيرة الذاتية للكاتب، تقديم الكتاب، تلخيص الكتاب، تلخيص مقدمة المترجم، دراسة الصورة الأدبية.

المبحث الأول: الأنتروبولوجيا.

1- الخلفيّة التاريخيّة للحقل الأنتروبولوجي:

من المعروف أنّ لكلّ حقل أو علم خلفية تاريخية تتمثل في ظروف نشأته والأسباب التّي أدّت إلى ظهوره، "فتتمثّل الظّروف والوقائع التي أحاطت بنشأة الحقل الأنتروبولوجي منذ بداية القرن التّاسع عشر، لفت انتباه الكثير من المستكشفين والرّحالة المغامرين الأوروبيين ومن بعدهم القادة والحكّام السياسيين من جهود الأولين، إلى أنماط معيشة هذه الشعوب بما في ذلك العادات، التقاليد، النّظم الاجتماعيّة، الفنون، أساليب التفكير وأنواع المعتقدات...إلخ.

فانشغلوا بتدوين مذكّراتهم الشخصيّة ضمن القصص وأحاديث وذكريات مغامراتهم وبطولاتهم كما تصوروها"[1]، ولكن مع ظهور دارسين وباحثين متخصّصين في هذا المجال لاحظوا "أنّ أعمال هؤلاء الرّواد تتّسم بالسطحيّة وعدم الموضوعيّة، بحكم طبيعة المواقف الشخصيّة للقائمين بجمعها من القادة العسكريين، والهواة والمغامرين وغيرهم، وبالتالي فهي مجرّد تخمينات واستنتاجات لا تقوم على الأدّلة الاستقرائيّة والواقعيّة"[2].

لا يمكننا الاعتماد عليها كون نتائجها غير مضمونة ولا تتصف بالدّقة والشمولية، ما يجعل هذه الأعمال تختلف حسب آراء وميولات شخصية تختلف من عمل لآخر.

"وقد عرف رواد الأنتروبولوجيا الاجتماعية في القرن التاسع عشر باسم "مقاعد الوتيرة"[3]، فهم لم يعتمدوا على منهج الدراسة الميدانية، إنّما على استنتاجات غيرهم من رجال الإدارة وأقوال المستكشفين، هذا ما أدّى إلى ظهور جهود ودراسات أنتروبولوجيّة معمّقة وجديّة تعتمد أساسا على البحث الميداني بالهجرة إلى هذه المجتمعات والتحقّق من تلك

[1] رالف لينتون بيلز، مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، الجزء الأول، ص 28.

[2] عاطف وصفي، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 24.

[3] المرجع نفسه، ص 23.

المعلومات، وتحليلها ثم القيام بجمعها. فكانت الجهود الأوليّة أول خطوة في إظهار معالم الأنتروبولوجيا وهكذا انتقلت إلى مرحلة جديدة، بحيث يقوم الباحثون بإخضاع كلّ مظاهر السلوك والتفكير البشري، وأنماط الحياة الشعبيّة المختلفة لمنطق العقل والمشاهدة الموضوعية وهذا لاعتبار البحث الميداني من شروط البحث الأنتروبولوجي.

2- مصطلح الأنتروبولوجيا:

الأنتروبولوجيا: يعرّفها الباحث عبد الحميد بورايو:" بأنّها علم دراسة الإنسان يتحدّد موضوعها بثلاث: علاقة الإنسان بالبيئة، علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بعالم الغيبيات"[1].

وهي كلمة تثير في الذّهن معاني متعدّدة، فيما يتعلّق بتطور الحياة العضويّة في مراحلها المتأخّرة، كما تثير لدى البعض معاني تدور حول الشعائر الغريبة والخرافات التي تمارسها الشعوب البدائية في المجتمعات الإفريقية وغيرها.

الإثنولوجيا أوالإثنوجرافيا:" يرى الباحث الفرنسي "جان بواربيه" أنّ مصطلح الأنتروبولوجيا ظهر أوّلا في كتابات علماء الطبيعة إبان القرن الثامن عشر لتعنى بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان"[2].

فنلاحظ ممّا سلف ذكره من تعدّد المصطلحات والمفاهيم في هذا المجال مع تنوع في اتجاهاته ومراحل تطوّره، فالأنتروبولوجيا تمثّل المرحلة الثالثة من الدراسة إذ لا تكتمل إلا بالمرحلتين السابقتين لها وهما:

---

[1] عبد الحميد بورايو، علاقة الأدب الشعبي بالعلوم الإنسانية الأدب الشعبي والأنتروبولوجيا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 1، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، الجزائر، 1994، ص6.

[2] يحي مرسي عبد بدر، أصول علم الإنسان الأنتروبولوجيا، مدرسة الأنتروبولوجيا، ط1، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 15.

أ- **المرحلة الأولى:**" ويطلق عليها "الناسوت" أو "الإثنوغرافيا" وهي الجزء الوصفي من النياسة "Ethnos" وتعني قوم أو ناس، "Graphein" وتعني وصف"[1] ويقابله اللّاهوت.

وقد خالفه في ذلك: "رد غليف براون" أحد مؤسسي المدرسة الإنجليزية الذي يرى أنّ الناسوت هو معاينة الظّاهرات الثقافية ووصفها خاصّة عند الشعوب المتخلّفة. فتهتم الإثنوغرافيا بدراسة وصفيّة للثقافات الفرديّة وطريقة الحياة في مجتمع معيّن فهي تهتمّ بالوصف أكثر من التحليل"[2].

ب- **المرحلة الثانية:**" ويطلق عليها "النياسة" أو الإثنولوجيا ويتكّون مصطلح الإثنولوجيا من شقين: الأوّل "Ethnos" ومعناها الشعوب، وهي كلمة يونانية قديمة، والشقّ الثاني "Logy" ومعناها علم، فالمصطلح معناه علم دراسة الشعوب"[3].

ج- **المرحلة الثالثة:** يطلق عليها "الإناسة" أو الأنتروبولوجيا فهي العلم الذّي يعالج العقائد الفطريّة "البدائيّة" والعادات في جميع مظاهرها.

"يرى لينتون "Linton" وهيرسكو فيتس "Herskovits" أنّ الأنتروبولوجيا هي دراسة الإنسان ودراسة أعماله"[4].

3- فروع الأنتروبولوجيا:

يتمحور موضوع الأنتروبولوجيا حول الإنسان ونمط عيشه، سواء كان ذلك في الأزمان السالفة أو المعاصرة، لذا فهي تتصّف بالاتّساع والتشعّب بحيث تشمل فروع وتخصّصات متعدّدة، يركّز كلّ منها على أحد الأشكال المختلفة للخبرات البشريّة "فالبعض يدرس الحقائق

[1] جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص 12.

[2] محمد حسن الغامري: مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

[4] فوزي القنتيل: الفلوكلور ما هو؟ دار المعارف، مصر، 1956، ص 56.

العلميّة التي تكشف عن الإنسان الأوّل والبعض الآخر يهتم بدراسة التراث، العادات والتقاليد، أي طرائق التفكير البشري والسلوك الذي يطلق عليه اصطلاح الثقافة. الأنتروبولوجيا إذن هي نقطة اتّصال بين العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة والاجتماعيّة"[1].

أ- الأنتروبولوجيا الفيزيقية:

كان الأنتروبولوجيون الأوائل يهدفون من وراء جمع مادّتهم العلميّة إلى بناء نظريّة عامّة عن البشر عن طريق تصنيفهم ودراسة أشكال سلوكهم الثّقافي. وكان الأنتروبولوجيون الفيزيقيّون يجمعون القوائم الأكثر تعقيدا وأشكال السلالات البشرية، ولكن هذه التصنيفات والنظريات لم تكن مبنية على البحوث الميدانيّة ولكنّها كانت تتمّ من خلال الاعتماد على تقارير المستكشفين ورجال الإدارة الاستعمارية والرحّالة "ويعتبر الباحث الفرنسي "جورج لويس ليكليرك" أحد هؤلاء الذّين صنّفوا البشر، كما طوّر بعض النظريّات الخاضعة للاختلافات الفيزيقيّة بين البشر. أمّا الآن فيذهب الأنتروبولوجيون الفيزيقيون إلى المواقع الميدانيّة للبحث عن الحفريات وجمع المعلومات عن الخصائص البيولوجية للبشر، كما تتصّل الأنتروبولوجيا الفيزيقية بدراسة التغيّرات العنصريّة وانتقال السمات الفيزيقية وتتبّع المورّثات الإنسانية وكذلك تدرس تطوّر الإنسان منذ مراحله وأشكاله الأوليّة الّتي كانت تربطه بعالم القردة العليا"[2].

ب- الأنتروبولوجيا الثقافية:

هي ذلك الفرع من الأنتروبولوجيا العامّة الّتي تهتمّ بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، والثقافة تشمل قواعد العرف، العادات، التقاليد، المعتقدات والممارسات وغيرها، تعتبر الوسيلة الّتي تمكّنه من الاتّصال بالآخرين سواء كانت جماعة محليّة أو جماعات أخرى محيطة بما لها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعيّة المتباينة،" لذلك كان أحد أهداف

[1] محمد حسن الغامري، مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، ص 13.

[2] يحيى مرسي عبد بدر، أصول علم الإنسان، الأنتروبولوجيا، ص 25، 26.

الأنتروبولوجيا الثقافيّة دراسة هذا التشابه والتباين الثقافي، بالإضافة إلى الاهتمام بتاريخ هذه الثّقافات وأصولها ونموّها وتطوّرها"[1].

ج- الأنتروبولوجيا الاجتماعية:

إنّ موضوع الأنتروبولوجيا الاجتماعيّة هو دراسة المبادئ العامّة الإنسانيّة، وتتعدّد فروعها بتعدّد الأنساق والنّظم الاجتماعيّة الّتي تكوّن بنية المجتمع،" حيث لا نجد إجماعا بين العلماء على استخدام مصطلح البناء الاجتماعي بمعنى واحد بالذات، فإنّ هناك اتّفاقا حول النظر إلى البناء الاجتماعي باعتباره شبكة معقّدة عن العلاقات الّتي تربط بين الأشخاص أو الجماعات التي تتمتّع بالاستمرار الزّمني"[2].

فالأنتروبولوجيا الاجتماعيّة تهتمّ بالسلوك الاجتماعي كالعائلة والتنظيم السياسي والاجراءات القانونية والعبادات الدينيّة وغيرها،" كما تدرس العلاقة بين هذه النّظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخيّة، فالأنتروبولوجي الاجتماعي يهتمّ بهذه العادات على أنّها جزء من الحياة الاجتماعيّة عند ذلك الشعب وحده في الوقت الحاضر دون أن يهتمّ بأصلها وذلك لصعوبة التأكّد من ذلك"[3].

4- مجالات الأنتروبولوجيا:

تهتمّ الأنتروبولوجيا بدراسة المجتمع رغبة في التوصّل إلى تعليل الظواهر المختلفة فيه قصد التعرّف على تحرّكاته وتطوّراته، مع حفظ توازنه وزيادة فاعليّته. "أمّا الأنتروبولوجيا الحديثة، فإن توجّهها لا يهدف من دراسة المجتمع إلى مجرّد تعليل ظواهره أو حفظ توازن

[1] يحيى مرسي عبد بدر، أصول علم الإنسان، الأنتروبولوجيا، ص 27.

[2] محمد حسن الغامري، مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، ص 13.

[3] يحيى مرسي عبد بدر، أصول علم الانسان، الأنتروبولوجيا، ص 26.

نظمه، ووظائفه القائمة بقدر ما يهدف أساسا إلى ضرورة المساهمة في تغييره، وتحوّله نحو الأفضل"[1].

فالباحث الأنتروبولوجي يشارك في اهتمامات المتخصّصين في التاريخ وعلم النفس والبيولوجيا، فإنّ هناك بلا شكّ اختلافا في بؤرة الاهتمام لدى الباحث الأنتروبولوجي والمتخصّصين في تلك الدّراسات أو العلوم الإنسانية الأخرى، فعلماء الأنتروبولوجيا نادرا ما يوجّهون اهتمامهم إلى الحضارة الغربيّة ولكنّهم يهتمون أكثر بتاريخ الشعوب التي تفتقر إلى تاريخ مسجّل، كما يهتمّ الأنتروبولوجيون بالسياسة والحكومة في المجتمعات الّتي لا تؤلف دولة.

ولقد ارتبطت الأنتروبولوجيا الاجتماعيّة والثقافيّة في نشأتها المبكّرة في تمايزها عن غيرها من العلوم الاجتماعيّة لضرورات تاريخيّة، منهجيّة وتطبيقيّة بدراسة المجتمعات التقليديّة وبخاصّة ما كان يعرف منها بالمجتمعات البدائيّة، وذلك لضرورات منها:

- "كانت مصادر المعلومات التي أقامها الأنتروبولوجيون الأوائل تتمثّل في الغالب في كتابة الرّحالة ورجال الإدارة الذين عاشوا في مناطق المستعمرات خاصّة الشعوب الإفريقيّة، فلم تتوفّر في بداية الدراسات الإثنوجرافية الوصفيّة حول المجتمعات الريفيّة والحضاريّة في تلك المناطق.
- كانت هناك ضرورة منهجيّة أدّت إلى التركيز على دراسة هذه المجتمعات التي تتعلق بالمنهج الأنتروبولوجي، حيث يفرض على الباحث أن يأخذ في اعتباره كلّ علاقات التّكامل والتّساند المعقدّة التي تربط بينه وبين النّظم الاجتماعيّة الأخرى التي تكون بنية المجتمع"[2].

[1] حمود العوري، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية، ط2، عالم الكتب، 1981، ص 75.

[2] محمد عبدو محجوب، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، دراسات نظرية وتطبيقية، دط، دار الجامعة، د س، ص 40.

- "كما كانت هناك ضرورة تطبيقية ظهرت بظهور مشروعات التنمية والتصنيع في تلك المجتمعات سواء بغرض استغلال مواردها الاقتصاديّة، أو من خلال عمليّات التحضّر التي تتعرّض لها"[1].

يؤكّد العلاّمة "إيفانز بريتشارد" يقول: «إنّ إغفال التاريخ في دراسة المجتمعات البدائيّة أمر لا مناص منه، ولكن موضوع الأنتروبولوجيا أخذ يتّسع، بحيث يشمل دراسة المجتمعات التاريخية، مثل المجتمعات الريفيّة والمدن الصغيرة، وفي بعض الأحيان دراسة المجتمعات الصناعيّة المتقدّمة، ولذلك يجب بالنسبة لتلك المجتمعات التاريخيّة الحديثة، عدم إغفال دراسة تاريخها نظرا لوجود الوثائق المؤكّدة»[2].

لعلّ أهم مجال تسعى الأنتروبولوجيا إلى توسيعه هو التّعاون الوثيق بين الأنتروبولوجيا الاجتماعيّة والثقافيّة، رغم وجود بعض الاختلافات فيها بينهما أهمّها: أنّ الأنتروبولوجيا الثقافيّة تهتمّ بالحضارة وتاريخها العلمي والحضاري، أمّا الأنتروبولوجيا الاجتماعيّة فإنّها تهتمّ بدارسة البناء الاجتماعي والنّظم الاجتماعيّة ووظائفها. لذلك يجب تحقيق التعاون بين فروع الأنتروبولوجيا كي لا يتعرّض هذا العالم للتجزئة، وبالتعاون يتمّ اكتشاف ميادين تفصيليّة جديدة للدراسة والبحث قصد التوصّل إلى نتائج أكثر عمقا ونضجا.

يعمل تكاثف الجهود على اكتشاف ميادين تفصيليّة جديدة للتّعاون والدراسة تتمثّل في الجمع بين الاتّجاه البنائي الوظيفي للدراسة الأنتروبولوجية الاجتماعيّة والاتّجاه التاريخي الذي يصاحب الاهتمام بالعمليّة الثقافيّة للمدرسة الأنتروبولوجيّة الثقافيّة الأمريكيّة. وقد صرّح

[1] محمد عبدو محجوب، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، ص 42.

[2] عاطف الوصفي، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، ص 50.

في ذلك العالم "إيجان" في قوله: «بأنّه اتجاه ناجح إذا استطاع إدماج منهج التحليل الوظيفي والمنهج التاريخي وطريقة دراسة العمليّة التطوريّة في مركب يتميّز بجانب خلاّق ومفيد»[1].

5- أهداف الأنتروبولوجيا:

إنّ أهداف الأنتروبولوجيا بالأساس مماثلة لأهداف علم الاجتماع وعلم الاقتصاد فكلّ منهم يحاول أن يفهم عمل الثقافات في المجتمعات المختلفة وسبب تغيّرها كما يسعى أن يتوصّل إلى تعميمات، وذلك من أجل المساعدة على التنبؤ باتجاه سير الأحداث بغية التحكمّ بها في النهاية. فالأنتروبولوجيا ترمي إلى فهم طبيعة ظاهرة الثقافة وتحديد عناصرها سواء في المجتمعات القديمة أو الحاليّة. فهي تطبّق معارفها لغرض حلّ مشكلة علمية ويعرف هذا النوع من الأنتروبولوجيا بالأنتروبولوجيا التطبيقيّة، الذي يهدف إلى استخدام حقائق علمية التي يتوصّل إليها الأنتروبولوجيون باختلاف تخصّصاتهم.

ومن أهدافها أيضا أنّها كغيرها من العلوم يمكن تطبيق المعارف الّتي تصل إليها في خدمة الإنسان، وحلّ مشكلاته، كون رغبتها شديدة في معرفة تلك الشعوب المتفاوتة البعيدة عنّا والمختلفة كذلك.

وتهدف كذاك إلى الحفاظ على كلّ هذه المواريث الثقافيّة الّتي تسير نحو الزوال، تحت وطأة الحضارة الواحدة الّتي تعمّ العالم على حدّ تعبير "إفانتير بريتشارد": «تتحوّل بسرعة كبيرة، بحيث تتوجّب علينا دراستها قبل فوات الأوان»[2]، فمعرفة الآخر وعاداته، ومعتقداته تعني أيضا إمكانية التعامل معه، فهي بالتالي تعزّز حظوظ السياسة الرامية إلى تكامل مجموعات بشرية مختلفة الثقافات، كما أنّها تساعد على التنامي المتّزن لمجتمعات تكاد تجرفها تيارات التغيير، وتساعد الإناسة كذلك من الناحية الإنسانيّة التربويّة، على توفير

[1] عاطف وصفي، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، ص 55-56.

[2] جاك لومبار، مدخل إلى الأنتولوجيا، ص 29-30.

شروط التفهم المتأنّي التي يتطلبّها تبديل نظرتنا إلى الآخر، وهي نظرة كثيرا ما تغطّيها الأفكار المسبقة الموروثة منذ زمن بعيد.

تتيح لنا هذه الأهداف أن نبيّن تلك الرسالة الأصليّة، بل المعنويّة التي حملتها الإناسة، فإنّها تسمح لنا بالاستعانة بمعرفة الآخر على توجيه نظرة نقديّة إلى مجتمعنا الخاص، بل إنها تمكّننا من تحسين فهمنا لماضي ثقافتنا الخاصّة.

تستهدف الإناسة بالإضافة إلى ذلك تأمين راحة الإنسان من خلال اكتشاف المعلومات التي يحصل عليها علماء الأنتروبولوجيا، "ولعلّ أحسن مثال على ذلك تلك التي تتعلّق بشأن استعداد الجماعات البشريّة المتباينة لمقاومة الأمراض المختلفة أو الظروف المثلى التي تناسب هذه الجماعات من حيث درجة الحرارة، نسبة الرطوبة والارتفاع حيث لابدّ من أخذ هذه المعلومات بعين الاعتبار عند معالجة التحرّكات السكانيّة التي تأتي عادة في أعقاب الحروب الكبيرة"[1].

6- خصائص الأنتروبولوجيا:

إنّ أوّل خاصيّة أساسيّة تركّز عليها الأنتروبولوجيا هي "الموضوعيّة" وذلك بالتوّصل إليها، وتعليم مناهجها وفرض تذوّقها، فالموضوعيّة التي تسعى إليها الإناسة، ليست بمعنى الترفّع عن مستوى القيم الخاصّة بمجتمع الباحث المعاين، أو بالجماعة الّتي ينتمي إليها، بل تتعلّق أيضا بمناهجه في التفكير، أي محاولة التوصّل إلى صياغة صالحة، ليس فقط بالنسبة للمعاين النزيه والموضوعي، بل تعني كل المعاينين المتمكّنين، فالإناسي لا يسعى لإخماد مشاعره فحسب، بل إنه يعمد كذلك إلى شحد مقولات ذهنية جديدة ويسهم أيضا في إدخال مقولات زمانية ومكانية، إلى التضاد والتناقض.

"تطمح الإناسة بهذه الموضوعيّة، إلى أن تكون علما سميائيّا، وهي بذلك تصمّم على وضع نفسها في مستوى الدلالة وهذا يشكّل سببا إضافيّا لها، يجعلها تحرص على رعاية

[1]– رالف لينتون بيلز، مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، ص 35.

صلتها بالألسنيات، حيث نجد الشأن المجتمعي الذي هو الكلام، نفس الهمّ الذي يحرص على عدم فصل الأسس الموضوعيّة للغة، إلى جانبها الصوت في وظيفتها الدالة عن المعنى"[1].

"أمّا الخاصيّة الثانيّة: والّتي تسعى الإناسة إلى تحقيقها، في "الكليّة" فهي ترى أنّ الحياة المجتمعية ترتبط في جميع جوانبها ارتباطا عضويّا فيما بينها، وعندما يورد الباحث الإناسي بناء نماذجه، فهو يضع دائما نصب عينيه وفي تفكيره اكتشاف شكلا مشتركا مختلف تجليّات المجتمع، والحياة المجتمعية. ونحن نعثر على ذلك سواء في المقولة التي استخدمها "مارسل موس"، بصدد الشأن المجتمعي الكلّي، أو في مقوله السيستام التي أصبحنا نعلم الأهميّة التي اتّخذتها في موضوع الإناسة الأنجلوساكسونية مؤخّرا"[2].

"أمّا الخاصيّة الثالثة: هي "الدلالة" إذ تعتبر ميزة أساسية في الإناسة وربّما أصبحت أصعب تحديد من الميزتين السابقتين، وربّما كانت أيضا أهمّ منها، إذ لطالما ميّز الإناسي نمط المجتمعات بمواصفات سلبيّة، هذا ما جعل الكثير يعتقد بأن حقل الإناسة يقوم بدراسة المجتمعات غير المتحضّرة، التي تفتقد إلى الكتابة غير الآلية، أو ما قبل الآلية. لكن هذه المواصفات جميعا، إنّما تخفي واقعا إيجابيّا، فهذه المجتمعات مبنيّة على علاقات شخصية وعلى صلات عيانية بين أفرادها بدرجة جدّ مهمّة من المجتمعات الأخرى"[3].

بالإضافة إلى هذه الخصائص نذكر أهمّ الخطوات التي تتّبعها الأنتروبولوجيا في دراستها:

"تقوم الأنتروبولوجيا بدراسة موضوع الإنسان، فرغم وجود علوم كثيرة تدرس الإنسان كالطب، علم الاجتماع وعلم النفس...إلخ. تتميّز الأنتروبولوجيا عن كّل تلك العلوم بالآتي:

---

[1] كلود ليفى ستروس، الإناسة البنائية، تر: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1995، ص 385.

[2] المرجع نفسه، ص 387.

[3] كلود لفي ستروس ،الإناسة البنائية،ص387.

- التركيز على دراسة الجماعات البشريّة.
- استخدام المنهج المقارن في الدراسة.
- استخدام مفهوم الثقافة كسمة بشريّة.
- النظرة الشمولية للإنسان من حيث سلوكه، تكوينه النفسي، البيولوجي، ثقافته المادية وتاريخه البشري"[1].

وخلاصة القول، أنّ العالم الأنتروبولوجي يدرس كلّ ثقافة المجتمعات، فتتّبع الإناسة بالمنهج التكاملي، بدفعه إلى الاهتمام بالمجتمعات البدائية، وتمكينه بذلك من الإلمام بكلّ الجوانب الثقافية لهذه المجتمعات.

7- صعوبات الأنتروبولوجيا:

لا يخلو علم الإناسة، شأنه شأن العلوم الأخرى من مشاكل تعرقل مساره الطبيعي في أبحاثه للوصول إلى هدفه الأساس المتمثّل في دراسة الشعوب عبر الأزمنة نلخّصها حسب اجتماع علماء الإناسة فيما يلي:

أ- لا يستطيع العلم الأنتروبولوجي، على خلاف العلوم الطبيعيّة القيام باختبارات صارمة، خاصّة إذا تكرّرت هذه الاختبارات بعد فترة زمنيّة بنفس معطياتها السابقة، في حين يمكن القيام بهذا الأمر في العلوم الدقيقة.

ب- إشباع الطابع الموضوعي على واقع مجتمع معيّن، أو بناء موضوع البحث نفسه، أمران يختلفان إلى حدّ بعيد باختلاف كلّ باحث عن آخر، باعتباره الشخص المعاين، فهو المعني بموضوع دراسته بالذات. ربّما هذا هو السبب الّذي جعل النياسة المعاصرة تتخلّى عن مسألة اكتشاف القوانين العامّة، لأنّ الأحكام

[1] نخبة من أعضاء هيئة التدريس و آخرون، الأنتروبولوجيا "علم الإنسان"، دط، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2009، ص 20.

التعميميّة التي صيغت حتّى الآن، مازالت غامضة، وعلى قسط كبير من العموميّة بحيث أنّها لا يمكن أن تكون مفيدة بتاتا كما قال "إيفانتاز بريتشاد" في حدود الخمسينات (...إنّ الإناسة المجتمعيّة تعالج المجتمعات باعتبارها سيستام رمزيّة، لا بوصفها سيستام عضويّة...إذ أنها تسعى إلى بلورة بنى، لا على وجود العلاقات الحتميّة بين النشاطات المجتمعيّة، وإنّما توضّح الأمور أكثر ممّا تعلّلها...)[1].

ولقد لخّص "كلود ليفي ستروس" الأمر قائلا: "لا يمكننا أن ندعّي بأنّ بين العلوم المجتمعيّة والعلوم الدقيقة والطبيعيّة تكافؤا حقيقيا، بل إنّ هذه الأخيرة خير العلوم، في حين أنّ الأولى ليست علوما"[2].

جـ- "هناك تناقض في المنهج الإناسي الّذي ينادي بنسبيّة الثقافات، وخصوصيّاتها من جهة، بينما هو يطمح من جهة أخرى، إلى استخلاص ما هو جامع ومشترك بين الظاهرات الثقافيّة والمجتمعيّة، لأنّ التشدّد على التنوّع الثّقافي، عبر دراسة كلّ مجتمع من المجتمعات، يستلزم البحث عن تفسيرات عامة، هذا ما دفع بعدد من الباحثين إلى محاولة تخطّي هذا التناقض. إذ قالوا بأنّه إذا كانت النياسة ترمي إلى دراسة التنوع الثقافي، فإنّها تسعى أيضا إلى العثور على عدد من القواسم المشتركة، أو الثوابت الثقافيّة الّتي تمتاز بها الطبيعة البشريّة"[3].

"تتعدّد الآراء كذلك، فبعض المدارس قد شدّدت أكثر على نسبيّة الثّقافة فكلّ مجتمع مخصوص لا يمكن ردّه إلى سواه، مستبعدا كلّ الأحكام التعميميّة مثل المدرسة الأمريكيّة

[1] جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، ص 48.

[2] كلود ليفي ستروس، الأناسة البنائية، ص 341.

[3] محمد الجوهري، الأنتروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات علمية، ط2، دار المعارف، 1882، ص 33.

الثقافيّة. بينما ذهب البعض الآخر إلى البحث الدؤوب عن تفسير عامّ انطلاقا من بعض البنى، أو من بعض العوامل المجتمعيّة المشتركة بين كلّ المجتمعات.

هناك مشاكل عديدة غير هذه لم تتمكّن الأنتروبولوجيا من إيجاد حلّ لها، مثل: لماذا توجد أنماط بشرية متميّزة بمثل هذه الكثرة برغم أصلها المشترك جميعا؟. وماهي طبيعة الثقافة؟ وكيف تتغيّر الثقافات؟ وماهي العلاقات بين الثقافة والشخصيّة؟ إلى آخره من المشكلات والصعوبات.

لاشكّ أنّ حلول مثل هذه المشكلات يتطلّب إجراء دراسات ومقارنات مركّزة لكثير من الثقافات البشريّة بقدر ما تستطيع البحوث ذلك، بدلا من الاتّجاه التجريبي الذي تستحيل الاستعانة به عند دراسة الإنسان وحضارته"[1]، لذا يتحتّم على الأنتروبولوجي أن يستعين بالمنهج المقارن عوضا عنه، فالعالم اليوم – بما يتضمنه من بقايا نادرة متفوقة للماضي البعيد– هو الحقل الوحيد المتاح للبحث الأنتروبولوجي.

[1] محمد الجوهري، الأنتروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات علمية، ص 33.

المبحث الثاني: الاستشراق.

مدخل:

يمكن اعتبار الأنتروبولوجيا استشراق شامل للعالم، مرتكزة على دراسة طبائع وخصائص الأقوام البدائيّة لتيسير عمليّة إدخال هذه الأقوام في دائرة النّظام الاستعماري الكولونيالي. غير أنّ أنتروبولوجيين لاحقين من أمثال مؤلّف" كتاب "ماركس" ونهاية النّزعة الاستشراقيّة (1978) "برايان تورنر، وإيريك وولف" ما لبثوا أن وسّعوا دائرة بحث اختصاصهم بجعله رديفا للتاريخ والسوسيولوجيا في الإحاطة بالعالم ككلّ كوحدة شاملة ومنظومة واحدة بدلا من عدّة حصائل، فقاموا بجمع حلقات منفصلة من المجتمعات، الثقافات، الحضارات الدول، الكيانات، القبائل والعشائر...إلخ"[1]، وجعلها وحدة واحدة لا تتجزأ، ولا يمكن الفصل بينها.

[1] إيريك وولف، أوروبا ومن لا تاريخ لهم، تر: فاضل جنكر، ط1، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، يناير 2003، ص 37.

مصطلح الاستشراق:

1- لغة:

"لفظة "الاستشراق" صيغت على وزن استفعال، وهي مشتقّة من كلمة شرق ثمّ أضيفت إليها ثلاثة حروف وهي: الألف، السّين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه وثقافته ولغاته وأديانه وعاداته وتقاليده.

شرقت الشمس – شرقا، وشروقا: طلعت.

(شرق) المكان: شرقا: أشرقت عليه الشمس.

أشرقت الشمس: طلعت وأضاءت على الأرض، ويقال: أرشقت الأرض: أي أنارت بإشراق الشمس.

وفي التنزيل العزيز: «وأشرقت الأرض بنور ربّها».

والقوم: دخلوا في وقت الشروق. وفي التنزيل العزيز: «فاتبعوهم مشرقين» .

(شرق): أخذ في ناحية المشرق.

(الإشراق): انبعاث نور من العالم غير المحسوس إلى الذّهن تتمّ به المعرفة.

المشرق: جهة شروق الشمس والبلاد الإسلامية شرقي الجزيرة العربية.

المشرقان: المشرق والمغرب على التغليب.

وفي التنزيل العزيز: «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين»[1].

[1] إبراهيم مذكور وآخرون، المعجم الوسيط، ط3، شركة الإعلانات الشرقية، 1985م، ص 499.

2- اصطلاحا:

يعني" علم الشرق أو علم العالم الشرقي. وعرّف البعض الاستشراق أنّه ذلك التيار الفكري الذي يتمثّل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي التي شملت حضارته وآدابه ولغاته وثقافته وأحيانا يقصد به أسلوب التفكير الذي يرتكز على التمهيد المعرفي و الايديولوجي بين الشرق و الغرب، و أحيانا يراد به ذلك العلم الّذي يتناول المجتمعات الشرقيّة بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[1].

كما يرى "الطيب بن ابراهيم" أنّ الاستشراق لا يعتبر تاريخا أو جغرافيا فقط ولا إنسانيّا أو ثقافة فحسب، وإنّما هو مجموع ذلك كلّه. فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة.

كما يرى أنّ الشّرق الّذي اهتمّ الغرب بدراسته والتخصّص في ثقافته وتراثه ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنّما هو شرق الهويّة، وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام.

فهدف الاستشراق إذن هو معرفة الشرق، الهوية، والتاريخ المتمّثل في الإسلام والمسلمين"[2].

3- نشأة الاستشراق:

اجتمع العلماء أنّ الاستشراق حديث الظّهور إلّا أنّ معرفة الشرق وما يتعلّق به من أفكار" فذلك يعود إلى العصور الماضيّة ويزيد ذلك ما عبّر عنه في التنقيبات من النقوش

[1] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري، دط، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص 18.

[2] الطيب بن ابراهيم، الاستشراق الفرنسي خاصة في الجزائر، دط، المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 72.

الأثريّة على الأحجار، ثم تلت بعد ذلك حركة الاستشراق في القرون الوسطى لتؤكّد ذلك من خلال الوقائع التاريخيّة والنّصوص الجغرافية وكتب الأسفار وغيرها"[1].

فلفظ الاستشراق أطلق على المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارات ، وثقافة الشرق وعلومه.

"كما أطلق لفظ "مستشرق" على المفكّرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية، السياسية، والاقتصادية"[2].

4- مراحل الاستشراق:

اختلف العديد من روّاد الاجتماع والمستشرقين في إعطاء تعريف دقيق للاستشراق وبهذا اختلفوا أيضا في تقسيم مراحل الاستشراق كلٌّ حسب رأيه. ولعلّ أبرز المراحل تلك التي رسمها الدكتور" المنصوري المبروك" في كتابه: «الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية، الاستشراق القرآني، الهوية، القيم الدينية»، إذ قسّمها إلى ثلاث مراحل أساسيّة وهي:

* "**الاستشراق الاستعماري:** ويشمل كلّ ما أنتج من بداية تشكّل هذا التوجّه مع الحركة الرومانسيّة الغربيّة إلى حوال 1960م.
* **الاستشراق ما بعد استعماري:** وهو التوجّه الذي تشكّل في المرحلة ما بعد استعمارية ويرتكز على الجانب الثّقافي واللّغوي وقد اعتراه غموض جديد.
* **الاستشراق الجديد:** وهو التيّار الذّي تشكل في هذا القرن وقد دشّنه "كريستوف لكسنبرغ" بكتابه: «القراءة السريانية الأرامية للقرآن»"[3].

---

[1] موسوعة ويكيبيديا، إعداد الندوة العالمية للشباب الاسلامي.

[2] الألوكة، حقوق النشر محفوظة © 1436هـ/2015م .http://www.alukah.net/sharia

[3] ويكيبديا، الموسوعة الحرة، يوم 21 مارس 2015، ساعة 00,45.

يتّضح لنا من خلال هذا التقسيم الذي قام به الدكتور المبروك المنصوري أنّ كلّ مرحلة تختلف عن لاحقتها وتستقلّ عنها، فالأولى سعت إلى إبراز أهمّ الصّعوبات التي عانى منها الإنسان إزاء الحركة الاستعمارية والثانية اهتمّت بالجانب ما بعد استعماري، وما خلّفه من الجانب الثّقافي واللّغوي الذي مورست فيه كلّ أنواع القمع والدحض الفكري، أمّا الثالثة فهي تشمل هذا التيّار الجديد الّذي طغى فيه الغزو الأوروبي على مستوى جميع الميادين.

5- الاستشراق السلبي:

الاستشراق هو دراسة كافّة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربي، وتستخدم كلمة الاستشراق أيضا لتقليد أو تصوير جانب من الحضارات الشرقيّة لدى الرواد والفنانين في الغرب، وتقوم معظم الدراسات بدراسة الشرق في العصر الاستعماري، وذلك ما بين القرنين الثامن والتاسع عشر، وهذا ما يفسّر كلمة الاستشراق التي تدلّ على المفهوم السلبي والتي تنعكس سلبا على الثقافة الشرقية والناس الشرقيين. فما هي سلبيات الاستشراق؟.

رغم" الفوائد العلميّة لدراسة الشرق الغربي في أدب الرحّالة الإنجليز والفرنسيين والألمان للمغرب العربي إلاّ أنّ دراسة هذه الرحلات تمّت من منطلقات برغماتية، خيالية ومن هذه الصور الخيالية التي رسمها هؤلاء الرحالة تمّ التشويه الأوّل، وجاء التشويه الثاني ليقول: تلك الأرض تصلح للاستعمار"[1].

فانطلاقا من المركزيّة الأوروبية" كتب الرحالة الألمان عن الجزائر مطالبين ضرورة التساوي في الحقوق اليوميّة بين الجزائري والفرنسي، كما طالبوا بتخفيف الظلم الفرنسي ضدّ الشعب الجزائري"[2].

[1] حمودة ماجدة، مقاربة تطبيقية في الأدب المقارن، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص106.

[2] حمودة ماجدة، مقاربة تطبيقية في الأدب المقارن، ص 106.

وهذا دليل على أنّ الجزائر عانت من الفرنسيين إزاء الاستعمار في كلّ الميادين ولا تزال الجزائر تعاني إلى يومنا هذا من التشويه والسفه الأوروبي مزعمين أنّها لا تملك ثقافة وفرنسا لها الفضل في كسبها ثقافة ومكانة بين البلدان العربية، حين أنّ كلّ هذا انعكس على الجزائر سلبا في كلّ الميادين.

فمشكلة المركزيّة الأوروبيّة أنّها لم تناقش الصورة الخيالية أو سحر الشرق التي قدمها الرحّالون، بل تناسوها ودبّ الصمت على الجانب اللاإنساني والمظلم فيها.

رغم الفوائد العلمية للمناهج الاستشراقية فقد ظلّت تعبّر عن وعي مزيّف، حيث تمّ من خلالها التشويه من منطلقات دينيّة، سياسيّة، تجمّل المنطق الاستعماري.

"وظلّت المركزيّة الأوروبيّة حائرة بين دعم هذا المنطق الاستعماري وبين الاقتناع بوجود آداب حقيقية في البلدان النامية التي بدأت بالظهور في الدراسات المتأخرة، فقد خلقت ثنائيّة الفهم لأدب واحد"[1].

ظلّ الافتراض الأوروبي قائما على المتلقّي المتأثّر السلبي في مقابل أنّ المرسل المؤثّر هو النموذج. وبالتالي لم تدرس علاقات التأثير والتأثر كحالة موضوعية تاريخية وهذا بالتناقض مع فهم عمليّة الإبداع، كذلك لم تدرس حالات، كان فيها الأدب العربي هو المرسل المؤثّر.

رغم كلّ الجهود التي بذلت من طرف العديد من المستشرقين الأوائل في إظهار الصورة الحسنة والإيجابيّة وكلّ مزاياها ومميزات الدولة العربية إلاّ أنّ الجانب السلبي طغى عليها.

يرى "آلان تورين في كتابه "نقد الحداثة" أنّه ليس هناك خبرة أكثر أهميّة من العلاقة مع الآخر، إذ يتشكّل الطّرفان كذوات وحين يتمّ الاعتراف بالآخر (لكونه ذاتا) تندفع الذات

[1] المرجع نفسه، ص 107.

إلى المشاركة في جهود الآخرين في التحرّر من العراقيل التي تمنعه من الحياة الإنسانيّة الكريمة. وهذه الغاية لا يمكن أن تكون فرديّة فقط لأنّ الذات إذا كانت الشخصية فإنّ العراقيل الّتي تمنع الإنسان من الحياة باعتباره ذاتا هي غالبا ما تكون اجتماعية، إدارية سياسية، اقتصادية... تمارس قهرا على الذات وبالتالي تمنع هذه الذات عن التفاعل مع الآخر الذي تراه مدمّرا لكينونتها"[1].

وحسب ما تطرّقنا إليه من سلبيّات الاستشراق تعود أسباب هذا التباين فيه إلى أنّ صورة (الإنسان) الأنا تستند إلى تجارب وخبرات غنيّة وكافية أنشأ فيها الأديب في مجتمع تربطه به علاقات اجتماعية ونفسيّة تؤهله إلى تصوير شعبه ومجتمعه بدقّة وتفصيل، وذلك خلافا لصورة يقدمّها أديب لشعب أجنبي لا يعرفه حقّ المعرفة.

6- الاستشراق الإيجابي:

"استطاع الاستشراق أن ينجز على مدى قرون مشاريع كبيرة من الدراسات والبحوث التي تحاول أن تدرس الشرق الإسلامي في جوانبه المتعدّدة فكريا واجتماعيا واقتصاديا..."[2]

ولا شكّ أنّ دراسة الاستشراق اختلفت نتائجها باختلاف الاتّجاهات وتلوّنت بتكوين الأهواء والانطباعات السابقة لكلّ مستشرق، ولكنّها مع ذلك لا تخلو من كثير من الدراسات الجادّة والحقائق الجزئيّة أو الكليّة الصحيحة. وقد تعمّقت بعض هذه الدراسات بالمجتمع الإسلامي تعمّقا يلفت النظر واستحضرت لذلك البيانات الهائلة والمعلومات المهمّة الكثيرة، وناقشها مناقشة لا تخلو من فائدة جمة وكان من ثمار تلك الدراسات الإحصائيّة والاجتماعيّة الميدانيّة فضلا على الدراسات اللغوية التي كثيرا ما وصلت بالبحث العلمي إلى نتائج لم يتوصّل إليها أحيانا أبناء هذه اللغات.

[1] حمودة ماجدة، مقاربة تطبيقية في الأدب المقارن، ص 108.

[2] اسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، 2003، ص 431.

إنّ الدّراسات الاستشراقية إذن مكتبة ثريّة عريقة في مجال البحث العلمي، "لا يحسن بنا أم نتجاهلها وقد أعطت هذه المدرسة أصحابها الفرصة لدراسة الشرق بغرض تحجيمه، ثم بغرض إعادة تشكيله وتفصيله على النّحو الذي يريدونه. ورغم أنّ الاستشراق ظاهرة متحرّكة ومتطوّرة وحركة منظمة أصبح يتخرّج في مؤسّساتها الباحثون من الشرق نفسه بما يزيد بكثير عن عدد الدارسين الغربيين أنفسهم للشرق"[1].

يعتبر "تزولكمان" المستشرق الألماني الذي عدّه معظم الباحثين العرب من المستشرقين المنصفين إذ قال أحدهم: « وهؤلاء أصحاب الاتجاه الإيجابي في الاستشراق، وقد عملوا على دراسة حضارتنا دراسة جادّة متخلّصين شيئا فشيئا من الهوى والتعصّب فكشفوا عن حقائق عامّة، وفتحوا السبيل أمام دراسات جديدة وشهدوا لحضارات العرب بأصالتها وسُموّها ورفعتها...إلخ»[2].

[1] اسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص 432.

[2] المرجع نفسه، ص 440.

المبحث الثالث: موباسان الرّحالة والأنتروبولوجي (الرّاحل إلى بلاد الشّمسس).

أدب الرحلات: Littérature de voyages

1- مصطلح الرحلة:

تبوأت الرحلة في الأدب منزلة رفيعة، وأصبحت فنّا من الفنون الشّائعة في معظم بلدان العالم، "وقد ساعد على ازدهارها اختلاط الشعوب وسهولة المواصلات وحب الإطلاع ومعرفة ما في العالم من عادات وأخلاق، ويقتضي التأليف فيها ثقافة واسعة، ودقة في الملاحظة، والتقاط الملامح المعبرة ومشاركة في عدد كبير من المعارف، لاحتواء الرحلة على معارف وعلوم متعلقة بالتاريخ، والجغرافيا، والاجتماع، والأدب وتفرض الأناقة في اختيار المفردات، ،صياغة العبارات، وتنسيق الفصول"[1].

إنّ الإثارة في الرحلة متأتية من الوصف الطريف للواقع، والسرد الفني للمغامرة الانسانية والعواطف المحركة للبشر، "ونابعة أيضا من أنواع الشخصيات التي تبرزها بحيث تبدو للقارئ متوافقة في كثير من نزعاتها، ومتفاوتة في جوانب أخرى، ليحتفظ كل منها بميزته الفردية، وتظل رحلة ابن بطوطة مصدرا كبيرا من مصادر علم التاريخ والجغرافية في القرون الوسطى، لاسيما من الناحيتين السوسيولوجية والأنثروبولوجية"[2]. "فربط بين الظواهر الطبيعية والمناخية والأرضية، وبين العادات والتقاليد ،ومقاييس وأديان المجتمعات التي زارها، واشتق قوانين اجتماعية كونية تفسر أثر الأرض والمناخ في قيام الحضارة الإنسانية"[3].

أما رحلة الحسين الورثلاني المعنونة (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار) فهي بمثابة مذكرات مدونة أغلبها كتبت عن أضرحة الأولياء ، استهلها بقوله: (... أنشأت

---

[1] إبراهيم مذكور وآخرون، المعجم الوسيط ، ط 3، مطابع الأوقست، 1985، ص 122.

[2] المرجع نفسه، ص 123.

[3] دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 116–117.

رحلة عظيمة) مبيّنا فيها بعض الأحكام الغريبة، والحكايات المستحسنة، والغرائب العجيبة مع ما فيها من التصوف، وخصصت فيها قسما كبيرا للحكايات الخرافية والكرامة والغيبيات المنسوبة إلى الأولياء...)[1].

رغم التباين الواضح في موضوعات ابن بطوطة والحسين الورثلاني في المنهج المتبع فالأول يتبع الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثاني يتبع الأنثروبولوجيا الدينية، في حين تختلف المواضيع التي يتناولها كلاهما. إلّا أنهما يتفقان في الاعتماد في كتابتهما على الدقة الموضوعية والعلمية ،وتجمعهم فكرة الرحلة نفسها، الرحلة الزمانية، المكانية أو النفسية.

كلا من ابن بطوطة والحسين الورثلاني اعتنى بتعداد فضائل وخصائل الإنسان والفضاء المتواجد فيه والتعريف به للعالم، فكانت كل رحلاتهم إبراز جمال المناطق والتمسك بالتراث. في حين يتغاضون الجانب السلبي فيها، وهذا ما لا نجده عند الغربي الذي يشوه صورة العربي في كل دراساته. وهذا ما لاحظناه في نص رحلة موباسان "رحلة إلى بلاد الشمس".

في قوله:" من يقول عربي، يقول لصّ دون استثناء..."[2].

فتظهر جليا نظرته العدوانية والدونية للعرب، وحاول لفت كل ما هو غرائبي وشاذ له وإظهاره بسلبية واضحة، كونه كلف بمهمة صحفية يدافع فيها عن وطنه نظرا للاستراتيجية التي يخضعون لها، عكس العرب الذين يبدعون في كتاباتهم.

[1] الحسين بن محمد الورثلاني، رحلة الورثلانية، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، 1974، ص 3.

[2] الرّواية، ص 65.

2- نبذة عن الأدب الفرنسي:

بدأ الأدب الفرنسي يرقى إلى القرن التاسع، وقد اقتصرت الآثار خلال القرنين العاشر والحادي عشر على متون دينية منقولة عن اللاتينية، وقد ظهرت عدد من الحكايات الشعبية، الدينية، المغامرات والرّحلات.

"غلبت في القرن الثامن عشر رغبة الأدباء والمفكرين في نشر المعارف، وتثقيف الشعب بإيقافه على المحصلات العلمية ،التاريخية والجغرافية، كما قويت فيه النزعة إلى التحرر من القيود التقليدية فكرا وعادات، وتعدد الندوات الثقافية التي تعرض فيها قضايا الأدب والفكر وتناقش بعمق ودقة"[1].

كان المفكرون والأدباء قد ركزوا على دراسة المجتمع، وعاداته وأحوال طبقاته، والعيوب الشائعة فيه "وأبانوا في الروايات عن التململ الشعبي، والتأهب للانفجار وقد ظهرت أسماء لامعة في إنتاج خصب، وخلق جديد ما عرفه الأدب الفرنسي من قبل"[2].

وقد عرف هذا الأدب تيارات ناشطة في الرواية أهمها:

"التأنق في وصف العادات، التقاليد والمشاعر المخالفة للخلقيات، وتحويلها من خلال الصياغة المرصعة فنيا.

العناية بالحوار النفسي في وجدان الشخصيات، وتوجيه الصراع بينها إلى صدام عاطفي أو عقلي والتوصل بالتالي إلى تفتت الأحداث الخارجية لتصبح ضمن إطار الحبكة.

الدعوة إلى اللارواية التي يتوارى فيها المؤلف ليطلق لشخصياته حرية التطور والتعبير عن ذواتها بعيدا عن كل ما يتميز به، من أفكار وقناعات، والتوقف حينا عند

[1] إبراهيم مذكور وآخرون، المعجم الوسيط، ط3، مطابع الاوقست، 1985، ص 528.
[2] المرجع نفسه، ص 529.

أحاديث عادية تدور بين أناس عاديين، والامتناع عن اللجوء إلى التحليل النفسي لجلاء صورة موضوعية عن عالم لا ينفذ إليه عقل الإنسان او إبراز شخصيات قلقة في ضياع دائم، متأرجحة بين الواقع وعوالم الخيال والأوهام"[1].

وفي كتاب "غي دوموباسان" رحلة إلى الجزائر "إلى بلاد الشمس" يتضح لنا أنها لا تحمل جنسا أدبيا واحدا بل تتداخل الأجناس فيما بينها، فيصعب علينا تصنيفها أهي قصة، رواية، أو نص رحلة، مع أن المترجمة نادية عمر صبري صنفت جنس الكتاب بأنه رواية وعلى هذا الأساس تعاملنا معه في بحثنا هذا.

[1] إبراهيم مذكور وآخرون، المعجم الوسيط، ص 532، 533.

3- السّيرة الذاتية للروائي غي دوموباسان:

اخترق غي دوموباسان (1850–1893) حياته كالنيزك، حيث عرف عمله الأدبي بالإيجاز الشديد، إذ ينحصر إنتاجه الروائي والقصصي في عشر سنوات، ومع ذلك أفلح إلى جانب صديقيه "جوستاف فلوبير وإميل زولا" في أن يدمغ في ميسمه العميق الأدب الفرنسي والأدب الحديث كله برواياته السّت وما لا يقل عن ثلاث مائة حكاية وقصة قصيرة، ساهم في تأسيس الواقعية والطبيعية للأدب، وتجاوزهما بقوة الشعر في كتابته السردية برفضه أن تكون مهمة الروائي والقاص مقتصرة على سرد وقائع وأحداث.

كتب في تقديم" روايته "بييروجان" أن الكاتب لا يتمثل هدفه في سرد حكاية ولا في تسليتنا وإثارة عواطفنا، بل في إجبارنا على التفكير في المغزى الخفي للأحداث ورؤيته الشخصية للعالم هي ما يريد إيصاله لنا في الكتاب"[1].

الاسم الحقيق للروائي هو: هنري رينيه ألبرت غي دوموباسان.

الاسم المستعار: جوزيف برونير.

هو من مواليد 5 أوت 1850 بقصر ميرونسمنل بنورماندیا وتوفي سنة: 6 جويلية 1893 بباريس.

من أهم أعماله نذكر:

عقد من الألماس، أسرى الغابة، الراهب وسيدة القصر، بييروجان، عذراء باريس، قطعة وتر صغيرة، صديقان وقصص أخرى، اليتيم، رحلة إلى بلاد الشمس.

[1] غي دوموباسان، رواية صديقان وقصص أخرى، تر: ستيفانا الخوري، مراجعة: عاظم جيهان، هيئة أو ظبي للسياحة والثقافة، ط 1، 2013، ص ص 11–12.

لقد عرفت هذه الأعمال وغيرها نجاحا كبيرا ولاقت الشهرة ومدح من طرف كبار المؤلفين والرواة الأوروبيين وذلك لما لها من قوة وواقعية، وحضور قوي، كما نلاحظ أن معظم أعماله يطغى عليها اليأس والتشاؤم. وكما تتميز أعماله بالأسلوب الراقي والبسيط (السهل الممتنع) هذا ما أكسبه شهرة عالمية في العقد: (1880م إلى 1890م).

نشأ وترعرع بين حب الطبيعة والرياضة في الهواء الطلق كما أنه يهوى الصيد في السواحل.

تتميز "شخصيته بالمرح والتواضع ما جعله يكوّن علاقات صداقة مع روائيين وشعراء عالميين أهمهم: جوستاف فلوبير، حيث أصبح تلميذا له و قد قدم له نظرية للنجاح الأدبي تتكون من ثلاثة أجزاء: لاحظ، لاحظ، ثم لاحظ.

تحصل موباسان على ليسانس في الأدب (1869) كما قام بدراسة القانون في باريس بناء على رغبة والدته.

في عام 1870 جنّد كمتطوع في الحرب الفرنسية استخدم لأول مرة في الإشراف والخدمة في سلاح المدفعية. و لم نتوصل إلى التأكد من مشاركته في حرب الجزائر في فترة المقاومة.

في باريس قضى موباسان عشر سنوات كموظف في الوزارة الأولى من البحرية السادسة ووزارة التربية والتعليم"[1].

"في فيفري 1875 نشر أول قصة له تحت اسمه المستعار جوزيف برونير.

31 ما ي 1877 كان أول ظهور له في الصحافة والأدب وبعدها قام بالمساهمة في العديد من المقالات والصحف الكبرى.

[1] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، ar.wikipidia.org/wiki 18 ماي 2015، سا 11:00.

مثل: لوفيجارو– صدى باريس، كما كرّس وقت فراغه لكتابة الروايات والقصص القصيرة وقصص الأسفار.

في 1879م: نشأ أول كتاب له وهو عبارة عن كتيب من مائة صفحة تحت عنوان: "تاريخ الأزمنة القديمة".

كانت أعماله متنوعة يعتمد فيها على المنهجية والمنطق.

في 6 أوت 1881م غادر باريس إلى شمال إفريقيا مبعوثا خاصا لصحيفة "Le goulois"[1].

أثناء هذه الفترة كتب غي دوموباسان روايته يتحدث فيها على سحر الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية والتي عنونها برحلة إلى الجزائر "إلى بلاد الشمس" والتي ستكون موضوع تطبيقنا.

[1] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، ar.wikipidia.org/wiki 18 ماي 2015، سا 11:00.

4- تقديم الكتاب:

ارتأينا في بحثنا هذا في جانبه التطبيقي إلى دراسة رّحلة قام بها غي دوموباسان المعنونة بـ "رحلة إلى الجزائر، إلى بلاد الشمس" لقد زار الجزائر خلال مهمة مهنية قام بها سنة 1881م، عندما كلّفته صحيفة فرنسية تدعى "Le goulois" وفيها قام بوصف كل تفاصيل هذه الرحلة ودّونها وكتبها باللغة الفرنسية.

يحتوي الكتاب على 143 صفحة اختار فيها بعض المدن التاريخية العريقة الّتي عاشت الثورة وعانت من ويلاته، فقد كان يسرد يصف كل ما يراه مع العلم أنه كتبها في وقت الاستعمار الفرنسي.

استهل كتابه بلغة شعرية في قوله:

"الحياة طويلة جدا، قصيرة جدا، تمسي أحيانا غير محتملة"[1].

كما اختتمها في قوله:" لكن القلب لا يعرف كيف يحب، في هذه الأرض سيدات جميلات وملتهبات يجهلن رقتنا وحنانا، تبقى أرواحهن البسيطة بعيدة عن الإنفعالات العاطفية وقبلاتهن، كما يقال، غير قادرة على خلق الحلم"[2].

أما الترجمة فقد وفقت نادية عمر صبري فكانت اللغة بسيطة وراقية، بأسلوب السهل الممتنع، وقد أشارت في مقدمتة الكتاب أنّ السبب الأساسي الّذي دفعها إلى ترجمة هذا الكتاب دون غيره هو "انجذابها للأسلوب الأدبي الشعري الرفيع أكثر من فحواه".

[1] الرواية، ص 07.

[2] الرواية، ص 141.

وبقراءتنا لهذا الكتاب لاحظنا ولامسنا إبداع الكاتب وذلك بتدوينه لأدق التفاصيل لكل ما يشاهده وإعطاءه وجهة نظره. فشوه الجزائر والجزائريين كما لم يعطي صورة جميلة على كل ما رآه ومن الطبيعي ذلك، كونه من أصول فرنسية فكان يدّون كل ما يراه وبشكل دقيق.

فذكر كأول عنوان "إلى بلاد الشمس" ويقصد بها الجزائر، ثم انتقل إلى ولاية "وهران" بعدها إلى ولاية "الجزائر" ثم قبيلة "بوجيه" المسماه حاليا ببجاية وأخيرا انتقل إلى غرب البلاد.

كما يظهر جليا تأثره الشديد بالبطل الجزائري "بوعمامة" فكان ذكره أكثر من مرّة.

5- ملخص "رحلة إلى الجزائر" "إلى بلاد الشمس":

كلّف موباسان بمهمة صحفية أوروبية إلى شمال إفريقيا ،وفيها قام بزيارة الجزائر أين ألفّ كتابه "رحلة إلى الجزائر التي دامت ثلاثة أشهر.

ابتدأ موباسان كتابه بعنوان "إلى بلاد الشمس وفيه أدرج الحياة الممّلة التي يعيشوها في الجزائر الّتي اعتبرها مضجرة، مملة ورتيبة كقوله «بينما السّيد ضجر من كلبه الوفي، من البقعة الدائمة على البساط، من رتابة نظام الوجبات والنوم في السّرير نفسه...ضجر حتّى من ذاته» ص8.

وللقضاء على هذا الملل السفر هو الحل الوحيد للقضاء منه.

ثم انتقل إلى عنوان آخر "البحر" وفي هذا الجزء تحدّث عن رحلته البحرية ، التي انطلق فيها من مرسيليا إلى الجزائر. وسرد لنا حادثه جرت على متن الباخرة وفيها يستهزأ من الشخصية الجزائرية كقوله: «...فجأة راح أحدهم، يدعى عبد القادر يجأر لاختفاء صوت الصفارة وحول ما يشبه صراخ الحيوان مكانها، كان صوتا رائعا يخرج من بطن مدخن لوحش ما ص10.

انتقل بعدها إلى "إقليم وهران" التي تقع في الغرب أين أسرف في وصف المناظر الطبيعية والظّروف المناخية وجمال مدينة وهران كقوله: «الحرارة غير متحملة يستحيل لمس أي جسم معدني» ص 14.

كقوله أيضا: «وهران مدينة أوربية بالفعل، تجارية وإسبانية أكثر منها فرنسية» ص 15.

ثم ذكر مدينة سعيدة وانعدام الحياة فيها بقولة «ثم عبرنا الغابة يا لها من غابة! محيط رملي تشبه فيه باقات العرعر...مع الأسف لا خضرة هناك باستثناء النباتات المتلفة» ص 21.

ثم انتقل إلى عنوان آخر لا يدل على المكان وهو الوحيد في هذه الرحلة المعنون "بوعمامة" ،الذي يقاتل من شدة الجوع و الفقر، ولا يحمل أية قضية وطنية، وليس له أي هدف ومشروع سوى قطع الطريق وإرهاب الفرنسيّين. كقوله: «لم يكن هذا الجوّال سوى رئيس عصبة قليلة العدد دفعها المجاعة للثورة. لم يقاتل هؤلاء النّاس إلاّ لسلب صوامع القمح ونهب القوافل» ص 23.

ثمّ عاد مرّة أخرى لوصف الأماكن والّتي انتقل فيها إلى الوسط المعنونة بـ "ولاية الجزائر" وفيها خصّ الجانب الدّيني للشعب الجزائري وكيفية ممارسة طقوسه .كقوله: «يستمر شهر رمضان ثلاثين يوما، لا يحق فيها لي تابع من أتباع محمد الأكل أو الشراب أو التدخين أثناء فترة الصيام» ص 31.

وقوله أيضا: «يبدأ الإمام بالصلاة، صوته هادئ متأوه ممل، نوع من الغناء الحزين الذّي لا يمكن أن ننساه...إنّها عقيدة صامتة تملأ الأجسام وتقيّد الوجوه» ص 33.

ثم ينتقل إلى منطقة ساحلية المعنونة :"القبيلة– بوجية" وفيها تشويه لصورة الفرد الجزائري، حيث تنعدم الأخوّة بينهم. في قوله: «يسرق العرب في كلّ الجزائر بعضهم بعضا. تكاد لا تمر ليلة دون أن يعلن عن سرقة عشرين جملا من هنا ومئة خروف من هناك» ص 50.

ثم يترك المدينة السّاحلية ويتجّه إلى جنوب الجزائر التي عنونها بـ «الزرعيز» واصطلحت بهذا الاسم نسبة إلى بحيرة مالحة واقعة بالجلفة. في هذا الجزء الطويل أورد فيه عدّة مواضيع منها ما تخدم المناظر، وأخرى استهزاء بالبيت الجزائري مثل الخيمة، ثم

استغرابه من شكل الأواني العربية، ثم يعود مرة أخرى ليستهزأ من الشعب الجزائري بوصفه "شعب غريب طفولي" ص 67، ثم إنتقل إلى تنوع الأطباق التقليدية الجزائرية ثم ذكر التنوع الهائل للكائنات الحيوانية الخطيرة الموجودة بهذه المنطقة ، والتي تشكل خطر على أبنائها وأخيرا ذكر لنا صورة اليهودي والمزاب اللّذان استحوذا على التجارة في الجنوب وقارن بينهما.

ثم يعود بنا إلى منطقة ساحلية أخرى وهي : "قسنطينة" وفي طريقه يذكر لنا مكان آخر "سطيف" ويفاجئنا في هذه المرة بتغزله ببنات قسنطينة في قوله: «يناديننا بعيونهنّ مثل الكبيرات، إنّهن لطيفات، قلقات، مثيرات مثل الوحوش الفاتنة يمكن القول إنّها مدرسة داخلية للخليلات ذوات العشر سنوات وبذرة الحب المتفتحة» ص 99 كما يذكر سحر قسنطينة من خلال الجسور المعلقة.

ويختم الجزء الخاص بالجزائر بعنوان : "من الجزائر إلى تونس" وخصّص بالذكر الجانب الدّيني في قوله: «بعضهم ساجدون وآخرون واقفون، يردّدون بصوت منخفض بعض الآيات القرآنية في أوضاع معيّنة» ص 102.

فأنهى رحلته متجها نحو تونس بعنون "نحو القيروان".

6- تلخيص مقدمة المترجم:

يقول إدوارد سعيد في مقدمة قام بها حول "الإستشراق" بضرورة إعادة النظر في كتابات المستشرقين غير العلمية، مبرزا أنّ هناك عدّة أنواع من الاستشراق.

تتعلق كتابات المستشرقين بشرط أساسي المتمثلة في النظرة الدّونية المسبقة للشرق والنظر إلى كل ما هو غرائبي وشاذ ومنحرف. أمّا" إيله شوخاط" في كتابها المندد بالعنصرية ضد العرب، تقول بأنّ إدوارد سعيد انتقد الخطاب الإستشراقي وأظهر كيف يخدم الثقافة الأوربية وإظهار الإختلاف الموجود بين الشرق والغرب، وذلك بإعطاء الأفضلية للغرب على الشرق.

في حين تتساءل نادية عمر صبري كيف أنّ كتابات فلوبير و رسائله لقيت اهتمام من طرف إدوارد سعيد ورواجا من طرف الجميع، في حين لم تكن رحلة غي دوماباسان المعنونة برحلة إلى بلاد الجزائر رحلة إلى بلاد الشمس، أي إعتبار أو ذكر ليتطّلع عليها الجميع.

في حين ترجع نادية عمر صبري، الكفة إلى أنّ إدوارد سعيد الموسوعي لم يعر الرواية إهتماما ليس تقصيرا منه، بل ترجع الأمر إلى أنّ كتابات موباسان المملوءة بالسلبيات وتحريفه لقضايا المجتمع العربي ونظرته إليه أنه لم تكن بالغة التأثير ليطلع عليها إدوارد سعيد.

كما تقول المترجمة بأنّه على اللآخر تقبل انتقادات وآراء الآخرين، والتّطلع عليها مهما كان الأمر، في حين تصف ترجمتها بالإعتماد على الأسلوب الأدبي الرفيع، أين توضح لنا فيه نظرة موباسان إلى المجتمع العربي والإستيطان الفرنسي أين كان الكاتب يظلم العرب ويساند الغرب[1].

[1]غي دوموباسان، رحلة إلى الجزائر، إلى بلاد الشمس، تر: نادية عمر صبري، ط 1، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا، دمشق، 2007، ص 5-6.

7- دراسة الصورة الأدبية:

بدأ الإهتمام" بدراسة الصّورة الأدبية في العقود الأخيرة من القرن العشرين[1].

يهتم الدارس فيها بالبحث عن صورة بلد أو شعب ما في أدب أمة أخرى، كأن يدرس مثلا، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي". [2]

فقد لوحظ أن الصّور التي تقدمها الآداب القومية للشعوب الأخرى، تشكل مصدرا أساسي من مصادر سوء الفهم، إيجابيا كان أم سلبيا، ونعني بسوء الفهم السلبي، ذلك النوع الناجم عن الصورة العدّائية التي يقدمها أدب قومي ما عن شعب أو عن شعوب أخرى ويعني سوء الفهم، رؤية غير موضوعية للذات وللآخر في الوقت نفسه.

"إنّ الصورة الأدبية التي يرسمها أديب ما لشعب أجنبي، لا تستند في أغلب الحالات على أساس صلب من التجربة والمعرفة والإحاطة بأوضاع ذلك المجتمع، وكثيرا ما تكون مصدر تلك الصور أسفارا أو رّحلات، قام بها الأديب إلى بلد أجنبي، أو إقامته لمدة طويلة بغرض الدراسة، العمل والعلاج".

بالإضافة إلى هذا، هناك عناصر أخرى تتدخل في تشكيل الصّورة عن الآخر مثل ظاهرة الموروث، الإستعمار، ونتائجه الإيديولوجية والثّقافية، "فتخضع الصّورة لعناصر مشوهة وخاصة شيوع النمط الذي يعدّ شكلا أوليا أو كاريكاتوريا للصّورة، فتتجلى هذه الصورة من خلال تأثيرات مؤذية تتسم بالجمود والآلية ومنه تبتعد عن الحركة والحديث والعلاقات الاجتماعية التي تساعد في تكوين الصورة ،وتفيد في دراسة الآخر من خلال ثنائيات

[1] عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص 51.

[2] المرجع نفسه، ص 51.

متناقضة تدمج الطبيعة والثقافة. مثل متوحش مقابل متحضر، إنسان مقابل حيوان، كما تتدخل في تكوين الصّورة عن الآخر في وصف مظاهر ثقافته من دين ولباس وأكل...إلخ[1]".

ولدراسة صورة بلد في أدب بلاد أخرى ،هناك بعض القواعد التي يستحسن الإلتزام بها:

- **أولا:** "دراسة الطريقة التي تكوّنت بها أفكار أمة في أدبها عن الشّعب الذي يقصد إلى وصف صورته في ذلك، أكان ذلك عن طريق الرحلة أو المشاهدة المباشرة، أم عن طريق مصادر مكتوبة.
- ثانيا: دراسة المواطن التي زارها الأدباء، وتأثروا بها لأنّها تكشف عن العوامل الّتي ساعدت على تكوين الصورة عندهم"[2].

[1] حمودة ماجدة، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 113-114-115.

[2] عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن، ص 51.

الفصل الثاني: تحليل الرّواية

المبحث الأول: تحليل الرّواية.

مدخل

مصطلح العتبات النصّية

أنواع العتبات النصّية

1- دراسة العتبات الداخلية للرّواية

2- دراسة الصور والدلالات

3- دراسة صورة الفرد الجزائري في نظر الغرب من خلال الرّواية

4- تقنية الرّوبورتاج

المبحث الثاني: تحليل الرّواية

دراسة العتبات الخارجية:

أ- دراسة الغلاف الخارجي للرّواية

ب-دراسة العنوان

ج- اسم الكاتب

د- إسم المترجم

المبحث الأول: تحليل الرّواية.

مدخل:

كانت مصادر المعلومات الّتي أقام عليها الأنثروبولوجيون الأوائل تحليلاتهم التّطورية أو المقارنة وتتمثل في كتابة الرّحالة والمبشرين ورجال الإدارة الّذين عاشوا في مناطق المستعمرات وبخاصة بين الشعوب الإفريقية، الّتي كانت تستهويهم فيها الشعائر والطقوس وعادات "الرجل الأبيض أو الثقافة الغربية"، ولم تتوفر في بداية الدراسات الإثنوجرافية الوصفية حول المجتمعات الريفية والصناعية في تلك المناطق.

أحس"الأنثروبولوجيون بضرورة منهجية، أدّت إلى التركيز على دراسة تلك المجتمعات البدائية أو التقليدية وتتعلق هذه الضرورة بالمنهج المميز للأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية التكاملية الشاملة في دراسة المجتمع والثقافة، بحيث يفرض على الباحث الذي يتوفر على دراسة نظام اجتماعي أو مشكلة معينة في مجتمع معين ،أن يأخذ في اعتبار كل علاقات التكامل والتساند المعقدة التي تربط بينه وبين النظم الاجتماعية الأخرى،التي تكوّن بنية المجتمع"[1].

لكن عندما اتجهت الدراسات الأنثروبولوجية إلى الإهتمام بالمجتمعات الإفريقية فوجدتها خاضعة للقهر بالقوة المسلحة الإستعمارية،" فقد كانت تمر بتغيرات ثقافية واجتماعية ولكنها أيضا كانت تمثل أبنية أكثر اتساعا وتعقيدا بالمقارنة بالمجتمعات الّتي سبقت دراستها، فظروفها الحالية لا يمكن أن تفهم بدون المعرفة بتاريخها الحديث"[2].

فكان أسوأ ما قدّمه الباحثون الغربيون وصفهم للشعوب الإفريقية بالبدائية وإنكارهم كل صور وأشكال الثقافة الإفريقية، وإساءة تصوير معتقدات الناس ودياناتهم متجاهلين حقيقة أن

[1] محمد عبده محجوب، الأنتروبولوجيةالاجتماعية، د ط، دار االمعرفة الجامعية، 2010م، ص 42.

[2]المرجع نفسه، ص 217.

الثقافات" لا تقاس بمجرد التقدم التكنولوجي، وإنما تقاس بواقع المجتمعات البّشرية والعلاقات السائدة بين أفرادها، كما لم يدركوا أن المعتقدات والدّيانات تعني بالدرجة الأولى أولئك الذين يمارسونها وحدهم.

كما تجاهل هؤلاء الباحثون، أنّ شعوب إفريقيا مهما يكن مظهر عقائدها الدينية إنّما تؤمن بالخالق الذي يسيطر على النّاس ويسيّر العالم، وعلى حوادث الكون بدليل أن هذه الشعوب قبلت الديانات السماوية وفي مقدمتها الإسلام.

ومن الجهود المبذولة في دراسة التّاريخ الإجتماعي للشعوب الإفريقية، نلاحظ أنّ هذه الشعوب لم تعرف في يوم من الأيام تاريخها السحيق فراغا من أي نوع كان، سواء كان عقائديا، نفسيا، فكريا أو ثقافيا"[1].

لقد كان للإفريقيين ثقافتهم وفنونهم وتقاليدهم، مهاراتهم في التعبير بالرّسم والنحت والعمارة في عصور سبقت مثيلاتهم في أوروبا نفسها.

لكن الإستعمار الأوروبي حرّم الشعوب الإفريقية فرصة اكتشاف ذاتها ،والنّهوض إلى أقصى ما تسمح به مقوماتها الثّقافية والمّادية ولكن بالرّغم من كل هذا ،"فقد قامت الثقافة الأوروبية بأشكالها المتعددة، بدورها في ربط حاضر الإنسانية بماضيها ،كما قامت في ذات الوقت، بالمحافظة على كيان أصحابها على مر العصور أي على الشخصية الإفريقية المتمثلة في شتى عناصر ثقافتها، من تقاليد وعادات ومعتقدات وديانات وفنون وخبرات ونظم ، والّتي يمكن بواسطتها معرفة ردود فعل أصحابها اتجاه أي موقف طارئ يهدد كيان هذه الشخصية"[2].

[1] محمد السويدي، محاضرات في الثقافة والمجتمع، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 42.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

كثيرا ما سمعنا قول – البعض– أن الجزائر لم يكن لها ثقافة، لكن من السخافة التفكير في هذا.

والكلّ يعلم أن الجزائر كانت آهلة منذ عهد سحيق، وأن أهلها قد كان لهم اتصال دائم بغيرهم في الشرق وفي الغرب، ولا نتصور شّعب من الشّعوب يبقى منكمشا في معزل عن الأحداث التّاريخية والتيارات الحضارية التي تلم بغيره ولا سيما بجيرانه، فيخبرنا التاريخ أنّ للجزائر تاريخ عريق وبطولات لا تُعدّ ولا تُحصى، وهذا كله جعل الأوروبي يكتب عنها بطريقة إيجابية أو سلبية، ومهما يكن فنحن متأكدون أنّ لو لم تكن الجزائر بلدا عظيما وعريقا وله مميزاته وخصائصه الّتي تميزه عن غيره، لما اهتم بها الغرب في أبحاثه ودراساته،هذا ما جعلنا نختار كتاب رحلة غي دوموباسان الذي اختار بلدين وهما: الجزائر وتونس، وفي بحثنا هذا نختص بدراسة بلدنا الجزائر.

1- مصطلح العتبات النّصية:

حدّد جيرار جونيت" في كتابه عتبات (Seuils) مجموعة من الخصائص واللآليات التي عدّها أولى الخطوات المساعدة على ولوج النّص، وقد جعل الموازي النصّي عنصرا لابدّ من إدراك كنهه، لدى الإقدام على تحليل نص معيّن على أساس، كون السّابقة التي تعني الموازي والتّفاعل معا"[1]، دلالة أساسية تكسب المصطلح خصوصية وتجعله من جملة العناصر المجسّدة لمبدأ المتعاليات النّصية.

صنّف جونيت النّص الموازي إلى:

النّص الموازي	1-النّص الموازي الداخلي
	2-النّص الموازي الخارجي

يدلّ هذا التصنيف على انقسام الموازيات النّصية إلى عتبات نصيّة داخلية وعتبات نصّية خارجيّة، كلّها تساهم في تقديم النّص على أحسن ما يكون للقارئ والنّاقد.

يعرف جونيت النّص الموازي الدّاخلي بأنّه كلّ ما يحيط بالنّص، ويقع تحت المسؤولية دون احتكار النّاشر أو النّشر بصورة أكثر دقّة، وهو ينم عن ميزة فضائية ومادية: (الغلاف صفحة العنوان، الملاحق، التحقيق المادّي للكتاب، حيث تقع مسؤولية تنفيذها على الطّابع لكنّ النّاشر هو من يتّخذ القرار: المقياس المختار، الورق، التركيبة المنهجية)[2].

2- أنواع العتبات النّصية:

العتبات الخارجيّة للنّص: ترتبط العتبات الخارجيّة أو المناصات الخارجيّة بكلّ" ما يحيط بالنّص الأصل، من عوامل خارجيّة تتجلّى أهمّيتها من خلال فضاء التّواصل

[1]– حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير)، دط،دار الأمل النشر والتوزيع، تيزي وزو، 2012، ص 42–43.

[2]– المرجع نفسه، ص 43.

الإعلامي بمختلف وسائله، مثال :المقال الذي يكتب في جريدة، إذ يتيح للقارئ إمكانية التّعرف على محتوى النّص، قبل اللّقاء به عن طريق الومضة الإشهارية الإعلانّية أو النّقدية التي يهدف إليها واضع العتبة"[1].

ويذهب" "جميل حمداوي" إلى القول إنه لا يوجد ماديّا ملحقا بالنّص ضمن نفس الكتاب، ولكن ينتشر في فضاء فيزيائي واجتماعي غير محدّد بالقوّة وبذلك يكون موضع (النص العمومي المصاحب) في أيّ مكان خارج الكتاب، كأن يكون منشوراً بالجرائد والمجلات وبرامج إذاعية ولقاءات وندوات...إلخ، بمعنى أنه بعيد عن مؤلّف النّص ولا دخل له فيه. فالعتبات الخارجية، وإن كانت منفصلة عن النّص الأصل، إلا أنّها ما فتئت عن تقديم إفادات ومفاتيح بشأن العمل الذي تصاحبه، من خلال وظيفتها التفسيرية الشارحة للمصدر الذّي انتزعت منه و هوما يوافق معنى السّابقة اليونانية (EPI). على انّ النّص الموازي الخارجي أو الرّديف أو النص العمومي المصاحب، هو كل نص من غير النّوع الأول ممّا يكون بينه وبين الكتاب بعد فضائي، وفي أحيان كثيرة زماني أيضا. يحمل صبغة إعلامية مثل: الاستجواب،المذكرات،الشهادات والإعلانات لأن العتبات النّصية الخارجية أو الموازياتالنّصية الخارجية أو المناص الخارجي بمصطلحات متعددة. ليست واردة داخل العمل الرّوائي بكثرة،لأن مكانتها تقع خارجا ولأنها غير لصيقة ماديا بالعمل، فنفضل الاهتمام أكثر بالعتبات الدّاخلية، لأنها تشكل فاتحة للأعمال الإبداعية"[2].

العتبات الدّاخلية للنّص: إنّ العتبات الداخليّة، "أي النّص الموازي الدّاخلي (Peritexte) من الفواتح النّصية التي يستهل بها القارئ عمليّة القراءة، فهي أوّل ما يقع على أسماع وأوّل ما تقع عليه الأبصار، وتعني السّابقة اليونانية، أو كل نص موازي يحيط

[1] حسينة فلاح ،الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، ص45،47

[2] جميل حمداوي، لماذا النص الموازي؟-Htt:// w.w.w.arabian creatrativity.com/j

بالنص أو المتن (النص المحيط)، أو النّص الموازي الدّاخلي أو المصاحب أو المجاور."[1] قبل أن تتعمق أكثر في العتبات لابد من استعراض تعريف "جينيت" للنّص الموازي لأهميّته وشموليّته، فيقول في كتابه أطراس:" يرتبط النّص بما أسميه بالنّص الموازي: العنوان، العنوان الفرعي، العنوان الدّاخلي، التّمهيدات، التّذييلات، التّنبيهات، التّصدير، الحواشي الجانيّة، الحواشي السّفلية، الحواشي المذيلة للعمل، العبارات التوجيهية،الزخرفة، أشرطة التّزيين، الرّسوم، نوع الغلاف وأنواع أخرى من إشارات أساسها الملاحق والمخطوطات الشخصية ومخطوطات الغير، التّي تزود النّص بحواش مختلفة وأحيانا بتعليق رسمي أو غير رسمي، بحيث لا يستطيع القارئ العادي والأقل إضطرارا للتنقيب خارج النّص و التصرف دائما بالسهولة التّي يظنها"[2].

فيما يخص العتبات الدّاخلية أو المصاحب النّصي، فيرى "جينيت" أنّه" يشمل بالضرورة كل خطاب مادّي، يأخذ موقعه داخل فضاء الكتاب مثل: العنوان أو التمهيد قد يكون أحيانا مدرجا بين فجوات النّص. مثل عناوين الفصول أو بعض الإشارات، وهذا ما أسميه المصاحب النّصي (Péritexte). وهي كلها إشارات وعتبات مهمّة، لا يخلو منها أي نصّ. فهي الّتي تخرجه في صورته النهائية وتقدّمه في شكل عمل كامل تحدد جنسه رواية كان أم قصة أو قصيدة. إذ تساعدنا العناوين وأسماء المؤلفين، صور الغلاف على حصر أفكارنا وتنظيمها بخصوص العمل الذي ننوي قراءته، كل هذا يبين للنّاشر الإهتمام الّذي يوليه الدّارسون للفواتح النّصية، على غررا ما هو الحال في الشروحات المقدّمة بخصوص المضامين"[3].

---

[1] حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثة أحلام مستغانمي، ص 47، 48.

[2] المرجع نفسه، ص 47.

[3] عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جونيت من النص إلى المناص)، دط، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، 2008، ص 37.

3- البنية الزمنية:

يلعب الزمن دورا هامّا في بناء الرواية والقصة وفي تركيبها، إذ أن أحداث الرواية تقوم في أزمنة معينة والتي تطغي عليها. "كزمن الكتابة، زمن وقوع الأحداث وزمن السرد، وبذلك فالزمن يمثل عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القصة كما أن هناك عدّة أزمة خارجية (خارج النص) زمن الكتابة، زمن القراءة، وضع الكاتب بالنسبة للفترة التي يكتب عنها، وضع القارئ بالنسبة للفترة التي يقرأ عنها، وأزمنة داخلية (داخل النص) الفترة التاريخية التي تجري فيها الرواية، مدّة الرواية، ترتيب الأحداث، وضع الراوي بالنسبة لوقوع الأحداث، تزامن الأحداث، تتابع الفصول...إلخ.

ولقد أكّد "موباسان" بأن النقلان في النص الروائي من أهم التقنيات التي يستطيع الكاتب من خلال اتقانها والتحكم فيها، أن يعطى القارئ التوهم القاطع بالحقيقة"[1].

فنستنتج أن هناك علاقة وطيدة بين الخطاب الروائي والأزمنة الخارجية والداخلية.

فالسّارد باستطاعته التلاعب والتحكم في زمن الرواية التي يسرد أحداثها، "كأن يكون في الحاضر يسرد أحداثا آنية، ثم يعود ويرجع إلى استرجاع أحداث وقعت في الماضي قد مر عليها الزمن، وذلك يدل على قدرة الراوي في ترتيب الأحداث حسب تسلسلها الزمني.

يضفي – بسرده الخاص – روحا جمالية فنية تأثرية من خلال التنويع في وحدات القصة وترتيبها المنطقي تبعا لتسلسل أحداثها في الواقع"[2].

تسير أحداث الرّواية عند أغلب المبدعين على" وتيرة زمنية محددة أو نظام زمني محدد وذلك يعود إلى طريقة السّارد في توظيف الأحداث وتطرقه إليه"[1].

---

[1]سيد أحمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثة نجيب محفوظ، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، ص 26.

[2]ستار ناهضة، بنية السرد في القصص الصرفي للمكونات والوظائف والتقنيات، ط1، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 201.

وينظر إلى الزمن في الرواية الحديثة على أنه مشكل عويص، وذلك أنه لم يكن إلا توقيت للأحداث "فأصبح عنصرا معقدا وشريانا حقيقيا من شرايين الرواية والحديث عن الزمن في الرواية الحديثة يحتم علينا التفريق بين مستويات ثلاثة للزمن."[2] وهي: زمن الخلق، زمن القصة، زمن السرد. وهذه الأضرب تلازم الحدث ملازمة مطلقة:

أ- زمن الخلق:زمن الكتابة

- "يطلق عليه زمن الكتابة (زمن كتابة أحداث الرواية أو القصة) المرتبطة بالفعل الذي يحقق القصاص عبر تصور زمني للتاريخ في الخطاب".».

فنفهم من هذا التعريف أن زمن الخلق هو تلك الفترة الزمنية الزاخرة بالأحداث، والتي تؤثر على الكاتب وتكون له بمثابة منح إلهام ولو كان المؤلف لا يشعر بذلك، وبعد التطرق للرواية تبين لنا أن أحداثها وقعت أثناء المقاومة، ففرنسا احتلت الجزائر سنة 1830، واسترجعت استقلالها في 1962م أما هذا الكتاب فحرر سنة 1881 أي قبل أن تسترجع استقلالها، وهذا ما أكده موباسان في قوله: «ماذا يمكننا استعماره في مثل هذه الظروف[3]».

"وهكذا يتبين لنا أن خلق الرواية واقعيا يتماشى مع زمن حدوث أحداثها، ولم تكن من نسج الخيال فقط بل مزجت بين الواقع والخيال"[4]. في قوله" بما أنني أمضيت ستة أيام وسط بلد يتعرض للحريق، رأيت بأم عيني في ليلة واحدة النار تندلع في ثماني نقط مختلفة وسط الغابة على بعد عشرة كيلو مترات من المساكن"[5].

---

[1]ستار ناهضة ،بناء الرواية ،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، ص 201.

[2]التواني مصطفى، دراسات في روايات نجيب محفوظ الذهنية، دط، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، أوت 1986، ص 107.

[3]نخبة من الباحثين وآخرون، مدخل إلى التحليل البنيوي، ط1 ، دار الحداثة، ص 207.

[4]الرواية، ص13.

[5] الرواية، ص 58.

وأيضا قوله: "من أين جاءت هذه الأحداث الدقيقة؟ من الناس جميعا... إذ أنني لم أقم إلا بجمع معلومات تبدو قريبة شيئا ما من الواقع"[1].

ب- زمن القصة La fiction:

"إنّ زمن الحكاية هو زمن تاريخي واقعي"[2].

وذلك ما نلاحظه في روايتنا، حيث أنّ السارد يسرد أحداثا وقعت أثناء الإحتلال الفرنسي.

"ففي زمن الحكاية لا يجوز القفز على الحدود الزمنية المنطقية للأشياء، فلا يفترض إحترام التسلسل الزمني الذي جرت فيه أحداث الحكاية، بمعنى أنه يتجاوزه نحو الزمن التاريخي بأسباب متعددة، كإستباق الأحداث المستقبلية أو إسترجاع الماضي عن طريق الوعي والرؤيا"[3].

كقول موباسان: "منذ ثلاث سنوات، كانت الجدة ما تزال هنا والآن اختفت".

تشعرني رؤية الشقة التي يقطنونها منذ ثمانية عشر عاما بالغثيات والسخط[4].

فالكاتب يستذكر الحالة التي لم تتغير والروتين الذي يعيشه منذ ثمانية عشر عاما.

فهذا" كله تلاعب فني بزمنية الأحداث الحكاية، ولهذا الأخير أهداف جمالية وفنية[5].

---

[1] الرواية، ص 26.

[2] ستار ناهضة، بنية السرد في القصص الصرفي، مرجع سابق، ص 201.

[3] المرجع نفسه، ص 201.

[4] الرواية، ص 7.

[5] ستار ناهضة، بنية السرد في القصص الصرفي، مرجع سابق، ص 202.

فاستعمل المؤلف ذلك الأسلوب لغرض التشويق وحب الإستطلاع لدى القارئ، كما نلاحظ أنّ موباسانإحترم التسلسل الزمني بذكاء.

فابتدأ كتابه بالوصف وإستباق الأحداث، قبل الدّخول إلى سرد رحلته تلك حتى يصل إلى قوله:

" كنت أتطلع لروية أرض الشمس والرمال في عز الصيف تحت لهيب القيظ في شدة الضياء الساطع"[1].

وهنا إستباق للأحداث، فيها يتخيل المؤلف منظر الجزائر في عز الصيف

فالتجسيد زمن القصة يجب أن يعطي له بعدا متميزا وخاصا فأحداث هذه الرواية تسير على وتيرة زمنية معينة، والذي يسمى بزمن القصة. "وهو الزمن الذي وقعت فيه الأحداث حقيقة أو تخيلا، يحدد بنقطة وينتهي بنقطة، له طول محدد فعليا، أو اعتباريا، وقد يرتبط بالواقع وقد يرتبط بالتخيل، ويظهر هذا الزمن في المادة الحكائية"[2].

فزمن روايتنا، هو زمن الاحتلال، بمعنى هي فترة الاحتلال الفرنسي أو الثورة التحريرية، في قول السارد" وأخيرا ولتلخيص قضية الاستعمار، استخدمت الحكومة مع العرب أساليب جد ظالمة"[3].

فإذا أردنا أن نبرز علاقة النص بالتاريخ، أي الزمن الحقيقي الذي يفترض أن تجري فيه الأحداث المصّورة، فهو ظاهر إلى حدّ ما.

---

[1] الرواية، ص 8-9.

[2] المحايد بن عبد الحميد، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999، ص 10.

[3] الرواية، ص 59.

فقد نجح موباسان في تقديم حقائق تصور التّاريخ بقوله: "سيكون في غاية الذكاء من يخبرنا، حتى في يومنا هذا من هو بوعمامة، ذلك (المهرج) {هكذا} الشبح الذي أفزع جيشنا في إفريقيا ثم اختفى تمام حتى رحنا نشك في وجوده"[1].

فنلاحظ وجود زمنين في روايتنا " الداخلي والخارجي، نقصد بالزمن الداخلي: زمن التّاريخ: "بمعنى زمن الفترة الزمنية المتصورة"[2].

وزمن الكتابة أو زمن السرد الأحداث وخلقها واقعيا، أمّا الزمن الخارجي فهو: "زمن الكاتب وانتمائه لعصر ثقافي، لأنظمة تصوره"[3]، كما أنه زمن القارئ: وهو زمن قراءة العمل الأدبي ويصاحب القارئ ويطلق عليه: "زمن التلقي" عند عبد المالك مرتاض. فنستنتج أن هذان المستويين من الزمن هما اللذان يجسدان زمن الرواية وحاضرها"[4].

---

[1] الرواية، ص 23.

[2] نخبة من الباحثين وآخرون ، مدخل إلى التحليل البنيوي، ص 207.

[3] المرجع نفسه، ص 212.

[4] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الزمن ، السرد ،التبئير ،ط3،المركز الثقهفي العربي للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،1997،ص91 .

ج- زمن السرد:

يرتبط السرد بالأحداث التي تقوم بها الشخصيات داخل العمل القصصي (الحكائي) وكذا الطريقة التي يتخذها السّارد بسردها، وقد ميّز "جيرار جونيت" بين ستة أنواع من السّرد في النّص القصصي وهي:

1- السّرد التابع:Narration ultérieure:

وهو "السّرد الذي يقوم فيه الرّوائي بذكر أحداث حصلت قبل زمن السّرد"[1]، هذا النمط من السّرد التقليدي يستعمل الزمن الماضي وهو أكثر الأنواع استعمالا وتدوالا، لأنّ زمن الأحداث يفرض ذلك فالعمل القصصي قبل أن يكون جاهزا لابدّ أن تقع هناك أحداثا، ومن ثمة، تنقل إلى المتلقي ولهذا يوظف الزمن الماضي. ففي الرواية نلاحظ أن كل مقدماته تقدم الأماكن المتمثلة في ولايات الجزائر التي تناولها باستخدام السرد التابع فنكتفي بقوله: "فيما كنت أتناول فطوري في حصن بوغار عند قائد المكتب العربي، وهو واحد من أكثر الضباط لطفا وكفاءة في الجنوب...يشعر المسؤولون بالخشية دوما من إندلاع ثورة عامة في أواخر رمضان،لذلك قرروا إيفاد رتل عسكري (حملة عسكرية) عبر القبائل الّتي تقطن هذه الناحية من البلاد"[2]. السارد يسرد هنا أحداثا حصلت قبل زمن السرد وذلك أثناء تناوله الفطور، فيبيّن العملية التي يقوم بها الملازمان.

2- السرد المتقدم Narration antérieure

هو سرد استطلاعي غالبا ما يكون بصيغة المستقبل وهو قليل في تاريخ الأدب، فالأحداث الّتي تذكر بهذا السرد لم تحدث بعد، إنّما يمكن ويحتمل أن تقع، وغالبا ما تأتي مقترنة بالمستقبل".[3]

---

[1]سمير المرزوقي، شاكر جميل، مدخل إلى نظرية القصة، دط، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ص101.

[2] الرواية،ص60.

[3]سمير المرزوقي،جميل شاكر، مدخل إلي نظرية القصة،ص 101.

أمّا في نص الرّحلة، كغيرها من الأعمال الروائية لم تتوفر على الكثير من هذا النوع ونذكر، أهم مثال وهو مشوق لتهيئة ذهن المتلقي: «كل منا يحلم ببلده المفضل، واحد بالسويد والآخر بالهند، هذا باليونان وذلك باليابان، أمّا أنا فكم كنت مشدودا برغبة ملحة إلى إفريقيا وبي حنين ملح إلى الصحراء المجهولة، كما هي الحال عند الحدس الذي يساورنا بقرب ولوجنا تجربة حب.

...كنتأتطلع لرؤية الشمس والرمال في عزّ الصيف".[1]

فالسارد يسرد أحداث يتمنّى وقوعها في المستقبل، وهو زيارة إفريقيا التي هي حلمه وبها يدعو الأجانب لزيارتها، كونها تزخر بالمناظر الخلاّبة والرمال الذهبية وهو بلد عريق له تاريخ حضارة وتراث يفتخر به كباقي البلدان.

3- السرد الآني: Narration Simultanée

هو" سرد بصيغة الحاضر، معاصر لزمن الحكاية، أي أنّ أحداث الحكاية وعملية السرد تدوران في آن واحد"[2].

مع أنّه لا يمكن ذلك، كون الأحداث تسبق دوما عملية السرد بمعنى أنه لا يمكن سرد حدث ما لم يحدث.

كقوله أيضا: "لا توجد حشرات في غبار هذه الأرض إلاّ بعض النمل الكبير، حشرات صغيرة، الّتي تعد بالآلاف وتوجد عندنا لا تستطيع العيش في هذا السعير. في هذه الأيام حتى الذباب يموت، كما في أيام الشمال، ومن الصّعب أن نتمكن من تربية الدجاج هنا"[3].

---

[1] الرواية، ص8

[2] سمير المرزوقي،جميل شاكر،مدخل إلى نظرية القصة،ص102.

[3] الرواية، ص 36.

السّارد يبين لنا الظروف القاسية التي يعيشها سكان الشمال، حتى الكاتب نفسه لم يتحمل تلك الظروف. فاستعان في ذلك مثال: الذبابة التي لم تتحمل برودة الشّمال والحشرة التي تتحمل حرارة منطقة سطيف.

وقوله أيضا: «نافذتي المفتوحة تطل على باحة صغيرة، أسمع نباح الكلاب البعيدة، البعيدة جدا، تتناوب النباح كأنها تردّ على بعضها بعضا...تنبح الكلاب الآن بشكل متواصل مخيف، يفقد الإنسان صوابه...»[1].

هذا النباح المتعالي دليل على شدة الفقر، الذي يعانيه أهل مدينة سعيدة، وقد استعمل الكلاب والذئاب لتوضيح ذلك. فقد استعان لتحقيق ذلك الدقة والوصف والسرد فهو لم يكتف بوصف الإنسان بل تجاوز ذلك إلى ذكر الحيوانات الأليفة، كالكلاب، الدّجاج والزواحف كالحية والأفعى بالإضافة إلى تعرضه للكائنات الحية الصغيرة مثل: الحشرات والذباب.

كما أشار في نفس الفقرة إلى أنّ المدينة كانت قبل الاحتلال تعيش أوضاعا سلمية لكن الكولونيال خرّب كل شيء وأصيبت بالفقر المدقع والحرمان من أبسط الحقوق وهذا دليل على السياسة القمعية التي مارستها فرنسا على الجزائر.

4- السرد السريع Narration sommaire:

إنّه" سرد يعتمد على الإيجاز، لذلك يسمى بالسرد الوجيز، ويقوم على سرد أحداث وقعت في فترات زمنية (أيام، شهور، سنوات) من حياة الشخصيات دون التعرض إلى تفاصيلها، ويرد هذا الإيجاز في سطور قليلة"[2].

كقوله: «تدوم القضايا في المحاكم سنين طويلة، دون بريق أمل بمعرفة شهادات الزور من الصادقة...»[1].

---

[1] الرواية، ص 16.

[2] سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 103.

يشير الكاتب هنا إلى المحاكم لا تطبق القانون بشكل عادل، وهذا ما يفسر إعاقة سير أحكام العدالة.

مع العلم أن شعار فرنسا ينادي بالأخوة والعدالة والمساواة وهي على عكس ذلك، فهي شعارات وهمية.

5- السرد البطيء Narration lente:

وهو "عكسالسّردالسريع، يكونفيهزمنالنصأكبرمنزمنالحكاية،فيغلبفيهالوصف والحركة، كثافة الأفعال والحوار. يتعرض السرد البطيء لكل كبيرة وصغيرة من حياة الشخصيات الموجودة داخل العمل القصصي، إنّه سرد يتجه نحو اللاحركية والسكون ثم تدخل التوقفات والمشاهد"[2].

كقوله: «كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحا، عند ما جاء فارس جزائري ليوقظني بطرق على باب الفندق "بوقراوي" المتواضع، عندما فتحت يتقدم رجل بسترته الحمراء المطرزة بالأسود وبانطلونه الواسع المثنى إلى الركبة،حتى بدت جوارب الجلد القرمزية التي يلبسها فرسان الصحراء.

كان رجلا عربيّا متوسط القامة، أنفه المقوس المصدع بفعل ضربة سيف، وتركت الندبة المنخر مفتوحا من اليسار، كان اسمه أبو عبد الله خاطبني قائلا: (بفرنسية مكسرة):

- سيدي، حصانك جاهزا.

سألته:

- هل وصل الملازم؟

---

[1]الرواية، ص 71.

[2] سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 104.

أجابني قائلا:

- سيأتي»[1].

بقراءتنا لهذا المقطع يعطي لنا صورة فيها تسرح وتتصور شكل الفارس وملامحه وطريقة لباسه ففيه وصف وحركة وحوار فهو عبارة عن مشهد فيه شخصيتان وكل واحدة فيه والدور الذي يلعبه.

6- السرد التسجيلي:

"يتم فيه الإنطلاق من زمن الحاضر إلى زمن الماضي بالإعتماد على الذكريات، وهذا يؤدي إلى وجود فرق زمني بين الحدث وزمن السرد، أنّ الحدث يأتي ماضي أما زمن السرد والحكي فقد تم في الحاضر، فالسرد التسجيلي يقابل السرد الآني[2]، كقوله: «يشغل حي العرب في قسنطينة نصف المدينة حيث الأزقة المنحدرة أكثر تعقيدا وضيقا من مثيلاتها في الجزائر العاصمة، وتمتد إلى حد الهاوية حيث يصّب في وادي الرومل. قديما كانت ثمانية جسور مقامة فوق هذه الهوة، ستة منها صارت خرابا..."[3].

فالسارد هنا بصدد وصف الأزقّة والأماكن الموجودة في قسنطينة، والّتي تزّخر بالجسور بالمعلقة، فقارنها بالماضي والتي أصبحت مندثرة الآن.

[1] الرواية، ص 60.

[2] سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص103.

[3] الرواية، ص100.

1- البنية المكانيّة:

إنّ العمل الأدبي الذّي يفتقد للمكان، يفقد خصوصيته وبالتّالي يفقد أصالته.

فالصورة الفنّية والمكان ليس خاصًّا بالسّارد فقط، بل تعدّى ذلك إلى المتلقي الذّي يستطيع من خلال وصف السّارد للمكان"التحليق على مستوى تصوره معادلا بشكل وصفه لمكانه الخاص، ويكمن جمال التّحدث عن المكان في الرّواية، الأثر الذّي يتركه السّارد في القارئ حيث يستطيع أن يتفاعل معه، بذلك يصبح القارئ شريكا للسّارد في تصوره نتيجة للأثر الذّي يتركه المقطع الوصفي في مخيّلة القارئ، ويتقمص شخصه، ويفهم أبعاد الأحداث كلّها من خلال هذا التّقمص، فالمكان في أيّة رواية جزأ لا يتجزّأ منها، وهو سبيل للسّارد لإيصال المتلقّي إلى فضاء الأحداث وفهم مجرياتها".[1]

إنّ المكان كغيره من البنى الحكائية، لا يمكن أن يهمش ولا يمكن إغفال دوره كعمود فقري لها،والتي تجري أحداثها في نطاقه وتلون شخصيّاتها بألوانه، بل هناك وظائف يؤدّيها، ومن دونها يصبح فهمها للأحداث مستحيلا وهذه الاخيرة تنقسم إلى قسمين:

الوظائف الخارجية:"هي وظائف ذات تأثير ثانوي تفيد في إطلاع القارئ على الحالة العامّة للمكان، والصّفات التي تجمع بين أفراده".[2]

كتقديمه مثلا لولاية وهران كغيرها من الولايات التي تناولها موباسان فيشير إلى المدّة التي استغرقها في الطّريق، والمناطق التي مرّ بها، والمناظر التي لفتت أنظاره، ويذكر طبيعة النّاس فيها.

ففي ولاية وهران* يقول: "يستغرق الذّهاب من الجزائر العاصمة إلى مدينة وهران يومًا في القطار، في البداية يتمّ عبور هضبة متيجة الخصبة المضللة والآهلة بالسّكان، هذا ما

[1] باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، ط1، الجزائر، 2009، ص 158.
[2] المرجع نفسه، ص 158.

يريه الأهالي للسّائح للتأكيد على خصوبة المستعمرة، صحيح أنّ متيجة والقبائل منطقتان رائعتان غير أنّ نسبة كثافة سكّان القبائل في الكيلومتر المربع أكثر منها في "بادوكاليه" وقريبا ستصبح متيجة مثلها".[1]

وقوله أيضا: "وهران مدينة أوروبية بالفعل، تجاريّة وإسبانية أكثر منها فرنسية، يصادف المرء في الأزقة فتيات جميلات بعيون سوداء وبشرة عاجية، وأسنان ناصعة البياض".[2]

فالسّارد يصف جمال وفخامة هذه المدينة مع الكثافة السّكانية فيها، وكأنه يدعو السّواح لزيارة الجزائر واكتشاف هذه المدينة الخلابة.

أمّا القبيلة–بوجيه** فاستهلها بقوله: "ها نحن في المنطقة الأغنى والأكثر عمرانا في الجزائر، بلاد القبائل، وهي جبلية ومغطّاة بالغابات والحقول".[3]

في قوله هذا يظهر الشّغف الذّي كان في نفسية الكاتب، وكأنه ينتظر الوصول واكتشاف هذه المنطقة الساحرة، الأغنى والأكثر عمرانًا في الجزائر، ثم بعد هذا الوصف عرّفها بأنها بلاد القبائل، وهي منطقة جبلية،مغطاة بالغابات والحقول. ومن هنا يتابع الوصف بإبداع في قوله: "عند خروجنا من أومال*** وهبوطنا في اتجاه وادي السّاحل الكبير هناك ينتصب جبل ضخم "جرجرة" لون قممه العليا رمادية كأنّها مغطّاة بالرّماد، ونرى في القمم الأقلّ انحدارا قرى كأنّها من بعيد حجارة بيضاء وأخرى عالقة بالمنحدرات"[4]. فوفّق

---

[1] الرواية، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

* (بويَران) لفظ من أصل أمازيغي (الأسود)/ وهران.

** بجاية – "بقايث" – النّاصريّة.

*** مدينة سور الغزلان.

[3] الرواية: ص 45.

[4] الرواية، ص 45.

في وصفها بدقّة والمعروف عن بجاية أنها مدينة ساحرة خلابة إلى يومنا هذا تستقطب العديد من السوّاح من كلّ أنحاء العالم.

ثم ننتقل مع موباسان إلى قسنطينة وفيها قال: "الحصاد مقطوع باسق وغير محفوف مثل حصاد فرنسا، مسحوق بأقدام البهائم، صفار تبنه الأصفر اللاّمع ممزوج مع حمرة التراب الداكن فيضفي على الأرض لونا دافئا غنيا ببريق ذهبي، ثم يتابع حديثه بالقول: ها هي قسنطينة المدينة الفريدة، الغريبة كما لو أنها محروسة بثعبان يلتف حول سفوحها، إنه الرومل العجيب ثم يفسّره أنّه نهر شعر نحسبه من أحلام دانتي يكون جزيرة من مدينته، هذا النهر الغيور المثير، يلفها بهاويه مرعبة ملتوية ذات صخور لامعة غريبة وأسوار مستقيمة مستّنة".

ويضيف استشهاد العرب بجمالها وفخامتها بقوله: "يقول العرب إنّ المدينة تعطي إحساسا بأنّها رداء ممتدّ، يسمّونها مدينة الهواء، مدينة الواد، مدينة الرّياح، وهي تسيطر على وديان رائعة، غنية بآثار رومانية دارسة، بصفوف قناطر هائلة، كما أنّها مليئة ببنايات رائعة، وتشرف عليها مرتفعات المنصورة وسيدي مسيد".[1]

فيقال لسكّانها: "مَجِّدُوها، أشكروا ذاكرة الأجداد الذّين بنوا مدينتكم على صخرة ترمي الغَربَان عادة بقاياها على النّاس بينما أنتم ترمون بقاياكم على الغربان".[2]

وهنا اعتراف من الكاتب عن الموقع الجغرافي الذي تتمتع به المنطقة، وأنّ الأجداد منذ القديم وهم يوصون بها وبحمايتها من العدوّ فيظهر انبهاره من هذه المدينة التّاريخية العريقة من خلال وصفه ومدحه مناطقها ومناظرها، وهذه وظائف خارجية تعني باطلاع القارئ على جمال المكان لا غير.

---

[1] المرجع نفسه: ص 98.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

أمّا الوظائف الدّاخلية: فهي تعبير شعور ذاتي أو شعور جماعي لأبطال الرّواية فالتعبير عن الشعور الذاتي أي عن ذات السّارد وما يحسّ به اتجاه هذا المكان، أمّا التعبير عن الشعور الجماعي ففيه يتخذ السّارد من المكان مسرحا للتعبير عما يحسّ به قاطنوا هذا المكان.[1]

كقول الكاتب: "كان الجنود يحملون السّيارات المرسلة من المخيم المجاور، بالقرب من الرّكب المتوقف، الذي يبدو من بعيد وكأنّه دابة مستلقية على الأرض الجافّة، ثم ينطلقون في الغبار ببطء بخطوات مرهقة تحت الشمس الحارقة، تتبعهم طويلا، وطويلاً يتجهون صوب الجهة اليسرى".[2]

"ظلّ من الآن ستة رجال بمحاذاة القطار، لا نقدر على لمس شيء، فكلّ شيء ملتهب، كان نحاس القاطرات أحمر بفعل اللّهب، ونصرخ إذا لمست أيدينا فولاذ السّلاح".[3]

يتحدث الكاتب عن ولاية وهران وما عاشه في هذه الولاية من معاناة جراء الحرارة التي لا تطاق والعطش الذي قتل الكثير من الحيوانات والأشخاص في قوله أيضا: "وصلت الحرارة إلى حدّ لا يطاق خلال عبور مستنقع جاف حتى أن القبيلة الهاربة فقدت كلّ حميرها بسبب العطش وستة عشر طفلا من أبنائها الذّين لقوا حتفهم بين أيدي أمهاتهم"[4]، فالكاتب كان يعبّر عن مللله من هذه الحرارة القاتلة التّي لا تطاق.

أمّا في حديثه عن قسنطينة فقال: "الأزقة الآهلة بالسكّان أكثر حركة من الجزائر العاصمة، زاخرة بالحياة المتدفقة دون توقف، بمخلوقات مختلفة: العرب القبائليين،

[1] باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، ص 159.

[2] الرواية: ص 21.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص 14.

البسكريين، المزابيين، السود، المغربيات المحجبات... لكن بهجة قسنطينة تكمن في هذا الشعب اللّطيف من الفتيات الصغيرات المبهرجات كأنّهنّ ذاهبات إلى حفل".[1]

وهنا يتحدث الكاتب عن الاختلاط الموجود في المنطقة والبراءة وجمال صبايا هذه المنطقة بالزيّ التقليدي القسنطيني.

وهذه الأمكنة بدورها تنقسم إلى قسمين:

أ/ **أمكنة حقيقية:** وهي هذه المدن التي ذكرها الكاتب بكل دقّة واثبت لنا حقيقة وجودها، بوصفها وذكر كل التّفاصيل التي رآها ودونها لنا.

ب/ أمكنة عامة: ونكتفي بذكر الجبل الذّي ارتبط مصطلحه في العالم عامة بالثّورة والجِهاد، فالجبل في عمقه وشموخه ملجأ لكلّ المهمّشين والمقصيّين، وإذا كانت قممه مصدر للبراكين والتّغيير، فإن أعماقه مصدرا للثورات الاجتماعية.

فكان لهذا المكان حضور في نص الرّحلة لموباسان، فتارة يراها نعمة أنعمها الله تعالى على هذا البلد العظيم وتارة أخرى يعتبرها نقمة تعرقل السّير وتشوّه البيئة.

ففي قوله: "في اتجاه وادي السّاحل الكبير، هناك ينتصب جبل ضخم "جرجرة" "Djurdjura" لون قممه العليا رمادية كأنها مغطاة بالرماد، ونرى في القمم الأقل انحدارا قرى كأنها من بعيد حجارة بيضاء وأخرى عالقة بالمنحدرات".[2]

من يقرأ هذا الكلام من الأجانب الذّين يجهلون هذا البلد العظيم، ينبهرون دون شك لجمال وروعة هذا المنظر الذّي لا يزال لحدّ اليوم محلّ إعجاب وتداول الكثير من السيّاح،

[1] الرواية، ص 98.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

ولقد وقف الكاتب في وصف هذا المكان حقا واعتبره من بين المناطق التي يفتخر بها أبناء هذا البلد.

وفي قوله: "... تتحلى الجبال التّي يصادفها المرء عند توجهه نحو السّاحل بطابع فريد، إذ أنّها تشبه القصور المحصّنة الموجودة بعد عدّة كيلومترات من السّهوب الرّحبة، وهي منظمة مربعة ومقسّمة بشكل رياضي...".[1]

والكاتب يشبّه الجبل بالقصور المحصّنة، وإن دلّ عن شيء فهو يدلّ عن إعجابه بالخلق الدقيق والمنظم لهذه الجبال الشامخة.

أمّا الرؤية الثانية فقال: "دلفنا شقّ الجبل وتتبّعنا النهر الرقيق "الشفة" ثم توغلنا في الحلق الضيق "مكان موحش مشجر"...تهددنا الصخور الحادّة والمستقيمة...".[2]

وفي موضع آخر يقول: "...جبال مسنونة جرداء كلسية محروقة دون أن نصادف شجرة، نبتة أو ورقة خضراء...".[3]

في الفقرة الأولى يذكر الكاتب اشمئزازه من هذا الجبل الذّي عبّر عنه أنّه "موحش مشجر" وفي نفس الوقت يهدّده خطر الصخور الحادّة والمستقيمة.

أمّا في الفقرة الثانية فيتحدّث عن المنظر المزري الذّي صادفه في طريقه حيث لا وجود للطّبيعة الّتي اعتادها، فالجبال جرداء محروقة وتنعدم الحياة فيها، فهي تشويه للطّبيعة والبيئة الجزائرية.

[1] الرواية، ص 97.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

[3] المرجع نفسه، ص 91.

2- بنية الشّخصيات:

اخترنا أن تكون دراسة الشّخصيات لروايتنا انطلاقا من التّعريف الذي اقترحه فليب هامون لأنّه حسبنا الأكثر استعمالا ودقّة.

فهو يرى" أنّ الشّخصية في العالم الرّوائي ليست وجوداً واقعيًّا، بقدر ما هي مفهوم تخيّيلي تشير إليه التّعابير المستعملة في الرّواية للدّلالة على الشّخص، ذي الكينونة المحسوسة الفاعلة التّي تعايشها كلّ يومٍ، فالشّخصية يعتبرها "فليب هامون" مقولة أدبيّة وليس معطى جماليًّا مؤسّسًا سلفا، وإنّما هي مقولة سيكولوجية، تحيل على كائن حيّ، يمكن التّأكد من وجوده في الواقع.

وقد صنّف الشّخصيات إلى ثلاثة أنواع وهي[1]":

1- الشّخصية المرجعية: التّي تنقسم بدروها إلى أربعة أنواع:

أ- "نمط الشخصية التّاريخية، أسطوريّة، إجتماعية، شخصيّات مزية"[2]، وكون رواياتنا تسرد أحداثًا تاريخية إبان الثورة التحريرية أين سلط الكاتب الضّوء على شخصيّة بوعمامة، الذي خصص له جزءًا من كتابه بعنوان كبير تحت اسمه وهو يصف بطولاته وقوّة جيشه وشجاعته في مواجهة العدوّ، ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ زيارة موباسان للجزائر توازي ثورة بوعمامة وكان ذلك في سنة 1881، فمن هي هذه الشّخصية الثّورية التّاريخية التي تأثّر بها الكاتب؟

بوعمامة:" هو محمّد بن العربي بن شيخ بن الحرمة بن محمد بن سيدي إبراهيم بن التّاج، المعروف ببوعمامة، ولد بقصر حمّام الفوقاني بمدينة "فقيق" حوالي سنة 1838، حيث تعلّم القرآن الكريم إلى جانب ممارسات أخرى، هي مزيجٌ من الخرافة والغرابة والغموض خاصة

[1] محمد السويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، إفريقيا الشرق، دط، دت، 1991، ص 82.

[2]سعيد بن كراد، عبد الفتاح كليطو، سميولوجية الشخصيات الروائية عند فليب هامون،دط، دار الكلام، الرباط، 1990، ص 24.

رجال الزّوايا. الّذين يحيطونها بتمام الكتمان لما لها من تأثير على العقول وسلطان على النفوس ، بالنّظر إلى أنّها مقياس للتفوق ومفتاح الاستلهام وأداة لإختراق الغيب".[1]

فبطولات بوعمامة وشجاعته في مواجهة العدوّ الفرنسي "أثار انتباه الصّحافة العربيّة والعالميّة فكان موضوعًا يخدم هذه الصّحف فنذكر مكاتب "التايمز" تقول عنه: "إنّ أبَا أمامة قد أصبح عبر القادر الثاني"، أما صحيفة البرهان المصريّة الصّادرة بالإسكندريّة كتبت عنه تقول: "هو زعيم من أهل الجزائر على حكومة فرنسا قد ذاع صيطه في الآفاق وانتشر له ذكر جميل، وحصلت بينه وبين الجنود الفرانسوية في هذه الأيام الأخيرة وقائع في الحقيقة ذات أهمية لمن أمعن النّظر فيها منصفا"[2]. وكتبت في نفس الصّحيفة: "هو رجل من أهل الدّين والصّلاح، معتقد عند أصحابه وفي جميع الجهات التّابعة له في الصّحراء، وهو فيما يقولون من ذوي الإلهام الإلهي.

فالمعروف عن ثورة بوعمامة، أنّها أطول الثّورات الجزائرية التي اندلعت في وجه الغزو الفرنسي، ذلك أنّها دامت قرابة ربع قرن، ومع ذلك نجدها أقلّ حظًّا من حيث عناية الدّارسين واهتمام الباحثين بها، مقارنة بالعناية التي توليها لثورتي المقراني وعبر القادر مثلاً. ونظرًا للانتصارات التّي حقّقها بوعمامة وهزم فيها المستعمر الغاشم لفتت نظر رجل الشّارع الغربي، بما فيهم الكاتب الفرنسي غي دوموباسان الذّي لم يتجاهل قوّة هذا البطل الجزائري المهاب من طرف المستعمر نفسه. أين أصبح يخاف حتى من ظلّه نظرًا لصرامته في قيادة جيشه وقيادته للثورات الشّعبية.

[1] محمد السويرتي ،النقد البنيوي و النص الروائي ،إفريقيا ،ص37.

[2] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، 1889–1908، ج 1، الجزائر، 2010، ص 41.

وموباسان ذكره أنّه بطل لا يُستخفُّ به. كقوله: "سيكون في غاية الذّكاء من يخبرنا، حتّى في يومنا هذا، من هو بوعمامة –ذاك المهرّج الشّبح– الذّي أفزع جيشنا في إفريقيا، ثم اختفى تمامًا حتّى رحنا نشكّ في وجوده".[1]

وهذا يدلّ على الخطّة المحكمة التّي يلتزم بها القائد بوعمامة، حيث أنّه ينهي عملياته ويختفي دون ترك أيّ أثر له، ويعتبر القبض عليه من المستحيلات.

في قوله: "هناك حادثة لافتة للنّظر تستحقّ الإشارة إليها،في ذلك اليوم أشارت الرّسائل الرّسمية إلى وجود بوعمامة في مكانين يبعدان مئة وخمسين كيلومترًا عن بعضهم في الوقت نفسه".[2]

وهذا دال على المتابعة المستمرّة لبوعمامة باعتباره خطرا عليهم، فبالإضافة إلى كلّ ما تملكه الجزائر يعتبر بوعمامة لدى فرنسا كنز لا يستهان به. في قوله: "أمر آخر أضفى علي الجزائر في تلك الأيام سحرًا إضافيًا، إذ قاد بوعمامة الغريب الأطوار تلك الحملة العجيبة".[3]

فيلاحظ حيرة الجيش الفرنسي أمام نجاح مسيرة بوعمامة ويعود هذا النّجاح إلى: "سرعة تنقله التي حيرت القادة العسكريّين، والتّي نسج حولها العامّة قصصًا مستوحاة من القّوة الغيبية العاملة، ومعرفته بالمسالك الصّحراوية وبطرق السّير فيها، ذكاؤه في استعمال أسلوب التّضليل بإفشائه الإشاعة الكاذبة بمكان تواجده الكاذب"[4]، وهذه النقطة إيجابية بالنسبة لبوعمامة فتمكن من كسب ثقة الثّوار والمناضلين وجرّهم إلى العصيان والثّورة، كما أنه دوخ القادة الفرنسيين، إلى درجة أنّ بعضهم يتجنّب حتّى محاربته والتّعرض لسبيله.

---

[1] الرواية، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 24.

[3] الرواية، ص 09.

[4] سعيد بن كراد، عبد الفتاح كليطو، سميولوجية الشخصيات الروائية عند فيليب هامون، ص 23.

3-الاستعمار الفرنسي:

انقضت فرنسا على الجزائر سنة 1830م، وأمكنها أن تستولي عليها لكثرة عدّتها وعددها، فأبعدت العنصر الإسلامي عن الحكم، وقسمت البلاد إلى عُمالات ومقاطعات فرنسية، فأصبحت أكبر مساحة الوطن تعود للاستعمار، ولم يكتفوا بالاستيلاء على ما فوق الأرض، بل استحوذوا على كلّ ما هو تحتها أيضا، فاحتكروا المعادن والتّجارة، تبنّوا سياسة تفقير الأهالي وتجهيلهم وتجويعهم، وفي روايتنا ظهرت سياسة القمع التّي استعملها الاستعمار الفرنسي اتجاه الجزائريين.

ويجدر الإشارة إلى أنّ السّارد كونه فرنسيًّا، فقد كان يستعمل ضمير "نحن"، نسبه إلى انتمائه عندما يسرد ويصف فيتكلّم بضمير "أنا" ، الغريب أن الكاتب لا يرى أن فرنسا ظلمت الجزائر وحرّمتها من أراضيها وممتلكاتها وقامت بتجهيلها ومحو كل مقوماتها في قوله: " أخيرًا، ولتلخيص قضيّة الاستعمار، استخدمت الحكومة مع العرب أساليب جد ظالمة، كيف لا ينهج الموظفون أنموذجا يتطابق جيدا مع مصالحهم؟ ومع ذلك يجب التّأكد أنّه منذ بضع سنوات كان هناك رجال أقوياء أكفاء من ذوي الخبرة في كلّ القضايا الزّراعية. لا يشتغلون فقط لمصلحتهم الخاصة، بل أيضا للمصلحة الفرنسية"[1]. في هذه الفقرة يتّضح لنا السّياسة التي كانوا يستعملونها ضد الجزائريين وهي سياسة الأرض المحروقة حيث يسلبون أراضيهم ثمّ يستخدمونهم كفلاّحين يخدمون الأراضي ويكسبون مبالغ زهيدة جدًّا، فاعترف الكاتب بالعمل الجاد والجيد لهم.

[1]الرواية، ص 59.

4-صورة الشعب الجزائري:

كانت الجزائر قبل الإحتلال دولة عثمانية عظيمة، ولكن بعدما إحتلتها فرنسا، حاولت محو كلّ مقوّماتها وجعلها دولة فرنسية جزائريّة، ولكن الشّعب الجزائري قاومها بكلّ الوسائل ففشل المستعمر في ذلك، ومع أن العدوّ الفرنسي كان جاهزًا عُدًا وعددًا إلاّ أنّه صُدمَ بالشّجاعة والأخوّة والذّكاء الذّي كان يجمع بين أبناء هذا الشّعب العظيم –بلد المليون ونصف مليون شهيد–.

ومن رحلة موباسان تبيّن لنا ذلك من خلال كلامه واندهاشه من التّحمل والصّبر والمواجهة التي يتميّزون بها. ونذكر بعض الأمثلة: "على أي حال، يتفوّق العرب علينا بميزة تجعلنا نجاهد دون فائدة إذ أنهم أبناء البلد، يعيشون على بضع حبات من التّين وقليل من الطّحين، لا يتعبهم الطّقس الذّي يرهق رجال الشّمال... ومثلهم تتحمّل الحرارة وتسير مئة أو مئة وثلاثين كيلومتر في اليوم دون أمتعة أو مواكب أو مؤونة تجرّها خلفها، يتحركون بسرعة مدهشة..."[1]، وهذا ليس غريب على مجتمعنا الذّي ضحّى بكلّ نفس ونفيس من أجل أخذ الحريّة، فتحمّل الجوع والعطش والبرد والحرارة كي لا يستسلم له، رغم الحِيلْ التّي كانوا يمارسونها ضدّهم، وكأنّه يقول أنّ هذا الشّعب يصعب استعماره لما له من قوّة لمواجهته وتأقلمه مع المناخ الشّتائي القاسي والحرارة المحرقة.

وقوله أيضا: "حرمتني فكرة سكّان الصّحراء المرعبين هؤلاء قليلاً من النّوم تحت أعواد القصب في ريعان شرقي ويوقظُني فجأة كلّ حفيف قرب أذني".[2]

ويشير إلى أنّه غير متعود على الصّحراء يصعب عليه حقا العيش في هذا المكان، وكلمة سكان الصحراء المرعبين تفسرها الفقرة التي قبلها، كون الصّحراء معروفة بالثّعابين

[1] الرواية، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 85.

المخيفة ثم يتابع القول: "تثير هذه الزّواحف المسالمة خوفًا خرافيًا عند العرب في نواحي بوسعادة، يزعمون أنّها تخرق الأجساد القوية كالرصاص".[1]

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ عن رُعبه من الثّعابين في حين أنّ الشّعب الجزائري عاش معها ولا تضرّه (ناس الصّحراء).

كما جسد نظرته الدّونية والسّلبية عن الجزائر عامّة وشعبه خاصّة، حيث كلّما ذكر حادثة ومهّد لسرده إيّاها، إلاّ وإستعمل كلمات تدلّ على البغض والكره الذّي يكنُّه لهذا البلد وتناسى أنّ الجزائر مظلومة وليست ظالمة، وأنّها مُسْتعْمَرَة وليست مُسْتعمرة.

في قوله" "شعب غريب، طفولي، ظلّ بدائيًا كما في بداية العصور"[2]، وهذا إجحاف في حق الشّعب الجزائري ولكن هي نظرة اجتمع عليها الغرب، وتبقى هذه النظرة راسخة في ذهنهم، و في نظرهم أنّ بلدان العالم الثالث متخلفة ولا يمكن أن تتطور، كونهم يكتبون عن أوربا فلا يمكن لهم أن يُسيئوا أو ينقُدوها لأنّهم مطالبون بالدفاع عنها والتستّر عن أعمالهم الدنيئةوغير إنسانيّة.

[1] الرواية، ص 84-85.

[2]- الرواية، ص 67.

5-الثقافة:

تعتبر الثقافة المفهوم الأساسي في الأنثروبولوجيا، فدراسة الإنسان بدون دراسة ثقافته يعتبر "تماما مثل دراسة الأسماك دون فهم خواص الماء الذّي تعيش فيه، فالثقافة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان وهي تزوّده بالوسائل التي يستطيع بها مواجهة تحدّيات البيئة، والتكيّف لها. وللسّمات الثقافية قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن (من جيل لآخر)، بل إنّ كثيرا من هذه السّمات: كالعادات، التقاليد، العقائد، الخرافات والأساطير تحتفظ بكيانها لعدّة أجيال لا شيء إلاّ أنّها وجدت في وقت من الأوقات في المجتمع".[1]

"فظلّت هذه العادات والتقاليد في الجزائر وسيلة هامة للتّنظيم بين الأفراد والجماعات طيلة العهود الغابرة وذلك في غياب القانون والعدالة ويظهر جليّا في روايتنا من خلال تمسّك الشعب الجزائري بها حتّى إبان الثّورة التّحريريّة".[2]

وتُعرف الجزائر بتنوع أطباقها وتختلف حسب الولايات وتتّفق معظم ولايات الجزائر على طبق تقليدي يحضّر في مختلف المناسبات وهو الكسكس (طْعامْ) وقد ذكره موباسان في قوله: "تنتهي الوجبة دائما بالكسكس أو الكسكسي الأكلة الوطنيّة، يحضّر العرب الكسكس بفرك الطّحين بأيديهم لتشكيل حبّات صغيرة تُشبه رصاص الصّيد، تطبخ هذه الحبيبات بشكل خاص وتسقى بحساء استثنائي"[3].

فالكاتب هنا وصف لنا أشهر طبق عند الشعب الجزائري، حيث نجده يشوّق الأجنبي لتذوق هذه الأكلة فجملة "تسقى بحساء استثنائي" هي دعوة إلى تناولها.

---

[1] نخبة من أعضاء هيئة التدريس الأنثروبولوجيا ، محمد عباس إبراهيم،(علم الإنسان)،دط، دار المعرفة الجامعية، 2009، ص 101.

[2] يسمينة سعودي، النظام العسكري والإداري في مشدالة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحضارات، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 32.

[3] الرواية، ص69.

كما يذكر طبق آخر في قوله: "... يتم تقديم "الحميص"، هذا الطّبق المتميز سأسجّل وصفة هذه الأكلة، فربما سيُسعد بها البعض: يتم تحضيرها بالدجاج أو بلحم الخروف، يقطع اللّحم إلى أجزاء صغيرة ويحمّر في المقلاة مع الزبدة، يتمّ الحصول على مرقٍ خفيف وذلك بعد رشّ اللّحم بقليل من الماء السّاخن (من الأحسن استعمال مرق محضّر من قبل) تضاف كمية كبيرة من الفلفل الأحمر، قليل من الفلفل الحلو، التّوابل العادية، ملح، بصل، تمر والمشمش المجفف، تطبخ كلها حتّى يهرس التّمر والمشمش تلقائيا، ثمّ يضاف هذا العصير إلى اللحم، طبق شهيّ بالفعل".[1]

يعتبر الكاتب هذا الطبق متميزًا وشهيًا بالفعل، ويقدّم في ذلك الوقت عند إكرام الضيف، أمّا في وقتنا الحالي يدعى هذا الطّبق باسم "لحم لحلو" وفي بعض المناطق يسمّونه "الطاجين الحلو" في حين الكاتب سمّاه "بالحميص" فيحضر هذا الطّبق خاصّة في شهر رمضان والأعراس ومكوناته غنيّة بالسّكريات والفواكه الجافّة.

وانتقل موباسان من تعداد أنواع المأكولات الشعبية الثقيلة إلى الحلويات المعروفة آنذاك في قوله: "تقدم أيضا حلوى بالعسل لذيذة جدًّا كلّ مرة عندما نشرب شيئًا"[2]، تعرف هذه الحلوى في وقتنا الحالي "بالبسبوسة" التّي تؤكل بالقهوة أو بالشّاي.

ويظلّ طبق الكسكسي الأكثر تناولا بين الأوساط الجزائرية، وبما أنّ الكاتب كان يأكله بشكل استمراري أصابته تخمة من هذا الطبق، فعبّر عن ذلك في قوله: "...وفجأة بدأت أرقص وأطلق صرخات الفرح، إذ لمحتُ كرم عنبٍ وأشجار مشمش وتين ورمّان... يا للسّعادة ليس هناك كسكسي يا للهذيان! عنب! تين! مشمش! لم يكن ناضجا، لا يهم".[3]

---

[1] الرواية، ص 69.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 81.

فالكاتب فضّل تناول الفواكه غير النّاضجة، فلم يعر ذلك أيّ اهتمام على تناول طبق الكسكسي وهذا يدلّ إلى اللاانتمائه لهذا الوطن. فنجد أنّه يناقض نفسه في هذا الطّبق، ففي تقديمه في الأوّل وصفه بالطّبق الاستثنائي أمّا في الفقرة الموالية فعبر عن نفوره من هذه الأكلة.

6-العادات والتقاليد:

تزخر الجزائر بتراث ثري من العادات والتقاليد. التّي تختلف من منطقة إلى أخرى، والتّي تظهر من خلال التّنوع الجغرافي والدّيموغرافي، فهي شكل من أشكال الموروث الثقافي، تترجم نمط الحياة السّائدة عند جماعة بشرية ما،" وتتجسد في أشكال شعبية ما، كاللّباس والاحتفالات بمختلف المناسبات الدّينية والوطنيّة، كما تتجسّد العادات والتقاليد أيضا في نوع الأطعمة انطلاقا من طريقة تحضيره وتزيينه، وكيفية تقديمه فهي تترجم يوميات وسلوكات بشرية ما".[1]

وفي نص "الرحلة" لموباسان كان نقلاً لكلّ ما عاشه، فكان تعبيره يدلّ على استغرابه من الثقافة العربية التي صُدم بها لانتمائه إلى الثقافة الأوروبية، ونستنتج ذلك في قوله "...تختلف أفكارنا وعاداتنا وغرائزنا اختلافًا كبيرًا بالمقارنة مع من نقابلهم في هذه البلدان...".[2]

فالكاتب يبرز لنا تصادم الثقافتين العربية والغربية، من جميع النواحي خاصة في وصف العادات والتقاليد والدّيانات التي لا تجمعهما أيّة صلةٍ، حيث كان في كلّ مرّة يُشوق القارئ الذّي لم يسبق له زيارة الجزائر باكتشافها عبر هذه الرّحلة، فكان أسلوبه اللّغوي الساحر يجذب إليه القرّاء، وأوّل ما يعتزّ به الجزائري هو اللّباس التقليدي البرنوس الذي لفت انتباه موباسان.

هذا الزيّ التقليدي عبارة عن معطف طويل من الصّوف، يضمّ غطاء رأس مذبب وليس به أكمام، ينتشر استعماله في معظم مناطق الجزائر منذ ما قبل الإسلام، فهو جزء لا

[1] رشيد فلكاوي، إشكالية اللّهجات المحلية المحكية في الدّراسات الأكاديمية، منشورات مخبر تحليل الخطاب، 2013، ص 110.

[2] الرواية، ص 42.

يتجزأ من هوية الجزائريّين، ومفخرة لهم كونه لباس مُقدّس، فكان في القديم شائع أكثر من الوقت الحالي، يرتديه الرّجال وله عدّة ألوان ترمز إلى الشّهامة والقيمة والشمول.

ففي قول الكاتب: "...رجل يمكن تمييز برنسه فاتح اللّون والشّبه الخفي."[1]فموباسان يظهر لنا تمسّك الرّجل الجزائري بهذا الزّي التقليدي.

[1] الرواية، ص 14.

7- الطّقوس الدّينية:

نعني بالطّقوس الدّينية" تلك الممارسات الجماعية التي تؤدّى وتكرر كما هي، دون أي تغيير، وذلك كلما وجدت المناسبة للقيام بها، وهذه الطّقوس تتّخذ صورة رائعة في الميدان الديني، وتمارس بطريقة منظمة في أماكن وأوقات ثابتة لا تتغير".[1]

والجزائر كغيرها من البلدان الإسلامية، متمسكة بالدين الإسلامي وتحترم طقوسه وتطبق أحكامه. وفي الرّواية يظهر ذلك، ووضحه الكاتب بكلّ حركة يقوم بها الشعب الجزائري في ممارسته لهذه المبادئ، مع أنّه كان يعاني من ويْلات الاستعمار وعبّر عنه موباسان بكل غرابة واستخفاف واستهزاء.

فعملية الدّفن مثلا، لم تكن هناك إمكانيات لِمَّا كان يعيشه هذا الشعب، من سلب الممتلكات والأراضي وتفقير الأهالي، إلاّ أن الثّوار دفنوا كل الشهداء الأحرار بوضعهم تحت التراب ووضع أحجار فوقهم للتّمكن من التعرف عليهم لاحقا.

في قوله:" هؤلاء الفرسان المتسكعون، الذين يضعون حجرًا واحدًا على المكان الذي يموت فيه موتاهم، حجرًا عاديا ضخما وجدوه في الجبل المجاور، تشبه مقبرتهم بعض الحقول التي ربّما تهدم فيها بيت أوربي فيما مضى"[2]

هذا حقا مدهش، كون الثّوار لم يتغافلوا عن إظهار مكان وفيات الجزائريين وشبه هذه المقابر بالحقول التي هدم فيها بيت أوروبي فيما مضى"،والكاتب في هذه الجملة يستهزأ منّا ولكنه تجاهل أن الاستعمار حرّمنا حتى من بيوت تأوينا وما قولنا على مقابر يدفن فيها موتانا.

[1] عبد الرحمن منيف، النهايات، ط1،الدار البيضاء، المغرب،بيروت لبنان، ص163.
[2] الرواية، ص 67.

بالرّغم أنّ الاستعمار استعمل أبشع الوسائل لمحو الهوية الجزائرية، واستبدالها بالفرنسية إلاّ أنّه لم يوفق في ذلك، كون الجزائري متمسك باللّغة،الدّين الإسلامي والعادات والتقاليد، بل أصبحت تتمسك بها أكثر من أي وقت مضى، والسبب أنه يُؤمن أن الله مع المظلوم ويوما ما بفضله ستسترجع حريته، فإذا كان سلاح الاستعمار هو القنابل والأسلحة النووية فسلاح الجزائر كان الإيمان.

فعبّر الكاتب عن ذلك، بالصبر الذي يتحمله أبناء هذا البلد القيام بفريضة الصوم في قوله تعالى: "أن تصوموا خير لكم"، وعلى هذا الأساس تمسك الجزائري بهذه الفريضة.

أمّا تعريف الصوم فنكتفي بالتعريف الذي وضعه لنا موباسان في روايته حيث أنه شرحه بإدخال وجهة نظره واستغرابه في قوله: "هناك عادة غريبة مازالت راسخة بعمق ترجع إلى بداية الاحتلال، هذه العادة تبدو فعلا مضحكة عندما نفكر في النتائج المرعبة التي يمكن أن يسببها لنا رمضان".[1]

اعتبر الكاتب شهر رمضان عادة كونها تتعاد كل عام، ولكنها ليست كذلك لأنها عبادة يمارسها المسلمين، واستعماله كلمة "عمق" دليل على تمسكهم بها، وبما أن الجزائريين متعلقين بها ويرفضون كل ما له صلة بالمستعمر الفرنسي، حاول هذا الأخير كسبهم بمسايرتهم حتى في هذه العبادة بقوله: "لقد أردنا في البداية استمالة المهزومين ومجاملة ديانتهم فهذه أحسن طريقة لكسبهم، حيث تقرر أن يدفع المدفع الفرنسي إشارة الإفطار خلال الفترة المقدسة، فيرسل بذلك المدفع طلقة مع بداية احمرار الفجر معلنا بداية الصيام، وفي المساء بعد عشرين دقيقة من غروب الشمس، من كل المدن وكل الحصون ومن كل الأماكن

[1]الرواية، ص32.

العسكرية تنطلق ضربة مدفعية أخرى تؤدي إلى إشعال آلاف السجائر وشرب آلاف الأباريق وإحضار عدد لا حصر له من أطباق الكسكسي في كل الجزائر".[1]

في هذه الفقرة يذكر لنا الكاتب توقيت الإمساك الذي يبدأ من بداية اِحمرار الفجر يبتدأ الصوم بعد عشرين دقيقة من غروب الشمس، أمّا طبق الكسكس فهو الطبق الجزائري التقليدي الذي لا يغيب عن المائدة الجزائرية.

أمّا عن شروط الصّوم: لخصها الكاتب في قوله: "يستمر شهر رمضان ثلاثين يوما، لا يحق لأي تابع من أتباع محمد الأكل أو الشراب أو التدخين أثناء فترة الصيام الممتدة من الصباح قبل شروق الشمس غروبها"[2]. ويتابع حديثه: "يصوم الرجال والنساء والأولاد من سن الخامسة عشرة والبنات عند البلوغ، وكلهم يبقون دون طعام وشراب قد يستطيع المرء الاستغناء عن الطعام طوال النهار، لكن الامتناع عن الشراب في هذا القيظ الشديد أمر فضيع ليس هناك إعفاء لشهر الصوم هذا".[3]

فالكاتب متعجب من إصرار الشعب الجزائري على إتمام هذا الشهر الفضيل بأكمل وجه، كما تعجب من شدة تحمل العطش في هذه الحرارة المحرقة فوصفه بالفضاعة.

من الحديث عن الصوم انتقل إلى حديثه عن المسجد الكبير، فقام بوصفه بكل دقّة في قوله: "تمكّنت من حضور المراسيم الدّينية في المسجد الكبير في العاصمة مع بداية رمضان، بناء بسيط جدًّا جدرانه مطلية بالجير والأرضية مغطاة بالسجاد السميك. يدخل العرب إلى

[1] الرواية، ص 104.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المسجد بحيوية، أرجلهم حافية وأحذيتهم بأيديهم، يصطفون في صفوف طويلة منتظمة... يظلون هكذا دون حركة كتماثيل ووجوههم باتجاه المصلى الصغير".[1]

نستنتج من هذا، أن الكاتب تمكن بصعوبة من حضور هذه المراسيم الدينية، دخل المسجد الكبير الجزائري، فعبّر عن التّنظيم الفطري الّذي يتميز به المسلمين ونظافة المساجد والطريقة التي يصطفوا بها المصلين ، حيث إنّهم لا يبدون أية حركة تخلل من نظام الصلاة ثم يتابع حديثه ويقول: "يصلون بهدوء وخشوع لا يسمع فيها قطّ صوت السّعال والوشوشة، يحس فيها المرء أنّها عقيدة قوية... تنعش القلوب فيغمر المرء الإحسّاس غامر بالاحترام...".[2]

وهذا اعتراف من الكاتب أن هذه الصلاة عقيدة قوية تقوي النفوس، تنعشُ القلوب وتنشر الاحترام بين الناس.

يظهر تأثر الكاتب بالدّيانة الإسلامية بكل أركانها التي لم يتخل عنها الشعب الجزائري، فالثّورة لم تتمكن من محو المساجد ولا أن تقنع أبناء هذا البلد من التخلي عن ديانتهم أو الإقلاع عن الصلاة والصوم، بل إنّ الكاتب يظهر استغرابه الشديد من ذلك، فبعدما تحدّث عن الصوم ،المساجد ،الصلاة، انتقل إلى وصف بعض المدن ولكنه سرعان ما عاد إليه في عنوان من الجزائر إلى تونس.

وصف الكاتب هذه الديانة الإسلامية والعبادات بقوله: "نحن عند رجال تطغى عليهم النظرة الدينية، وتمحو كل شيء، تنظم السلوك، تخنق الضمائر، تبصم القلوب، تتحكم في الفكر، وتتفوق على كل المصالح والمشاغل والاضطرابات".[3]

---

[1] الرواية، ص 32-33.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] المرجع نفسه، ص 101.

وهو تعبير عن النظرة الإيجابية للدّين الإسلامي، كونه دين يخاطب العقول ويقويها، ينظم السلوك، ويتفوق على كل المصالح ومشاغل الدنيا فلا تستسلم ولا تضعف فهي دوما تقوي وتعطي شعاع أمل لحياة أفضل، ويتابع كلامه في قوله: " الدّين أكبر ملهم في تصرفاتهم وأرواحهم ومحاسنهم ومساوئهم، فبالدّين نجدهم طيبين، شجعان، حنونين ومخلصين... لم تتجسد ديانة بهذا الشكل في الناس كما فعل الإسلام"[1]، فيعتبر الكاتب الإسلام معجزة العرب، كونها ملهم الإنسان والرسول صلى الله عليه وسلم قدوة يقتدى بها.

ثم انتقل إلى وصف المصلين في نظامهم وخشوعهم وجدّيتهم في صلاتهم وتأديتها دون راحة أو تسلية، كما أن الصلاة تجمع الفقير والغني على حدّ سواء، فيدخلون المسجد كلهم حفاة، يؤدون نفس الحركات ويعبدون نفس الإله، وبعدها انتقل إلى كيفية الصلاة وذكر أنّ هذه الصلاة تكرر خمس مرات في اليوم. ثم ذكر أنه لا تتم هذه الصلاة إلا بالوضوء في قوله: " ويغسلون الوجوه والأيدي والأرجل، قبل أن يشرعوا في الصلاة"[2]. هناك حكمة نستخلصها من الدّين،من خلال فرضه خمس صلوات في القيوم، فالصلاة بدون وضوء وإنّ الصلاة أوّل ما يحاسب عليها المرء في آخرته، لذا تعتبر عبادة مقدسة لدى لكل المسلمين.

فالكاتب معجب باشتراك الجزائريين وكل العالم الإسلامي بالاحتفال بهذه المناسبات الدينية مرّة كل عام، فهي لا تستدعي ملاحظات مميزة، فتعتبر في كل مكان رموزا إسلامية ذات هوية دينية، هي أيام مقدسة عند الإسلام والمسلمين، لم يستطع المستعمر القضاء عليها مع كل الحيل التي استعملوها لكسبهم وإغوائهم بحياة أفضل، لكن كان إيمانهم بالله أقوى فأظهر لنا الكاتب هذا الجانب الدّيني الذي أذهله وأعجب بقوة نظامهم وحبهم لدينهم.

كما تحدّث أيضا عن أضرحة الأولياء ومدى تعلق الجزائريين بها خصومًا جنس النّساء لاعتقادهن أنّها جالبة للحّظ، ومخلّصه من الشرور. ويعتبر ضريح الولي عبد الرحمن

[1] الرواية، ص 101.

[2] المرجع نفسه، ص 103.

الثعالبي أهم أضرحة مدينة الجزائر، من حيث مكانة صاحبه،شكل الضريح وطريقة تزيينه. أثار هذا المكان الكاتب في قوله: "أولئك النّساء جالسات هنا بجانب القبر المزيّن، الشبيه إلى حدٍّ ما بالسّرير الملوّن والمغطّى بقماش حريري والرّاعيات والهدايا التي جلبت لهم... ساعات من كل الأحجام، تتحرك تسمع دقات الثواني لتعلن الوقت"[1].

فالكاتب يصف لنا الأشياء الثمينة التي تقدّمها هؤلاء النّسوة للولي الصالح مقابل إيجاد الحلّ لمشاكلهن سواء العاطفية أو العائلية، كما لم يتغافل الكاتب عن ذكر الإيمان الذي يسكن قلب الجزائري، فمع أنّه يؤمن بالأولياء الصّالحين إلاّ أنّه يؤمن بالله الواحد الأحد القادر المقتدر في قوله: "...إذ إنّهم حين يُبدون احترامهم للقبر فإنّهم يتوجهّون نحو مكة لعبادة الله، فلا ألوهية إلاّ لِلّه كما يردّدون في صلواتهم"[2]، فهذه المقولة تدلّ على الإيمان بالله الأحد ولا يشرك به شيئًا.

[1] الرواية، ص 107.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8- دراسة الصّور والدلالات:

صورة الفرد الجزائري (الصحراوي):

ينتمي "المزابي" إلى جنوب الجزائر ويعتبر الشخصية الواقعية الواضحة للقارئ إلى جانب بوعمامة الذي شوهت صورته والتي رسمها غي دوموباسان بصورة سوداء وشوهه لدى العام والخاص، فحسب نظرة الكاتب "بنو مزاب" هم أشرف سكّان الجنوب ولقّبهم بيهود الصحراء والأذكياء والناشطون وتجار في الصّميم فهم يحتكرون التجارة في كلّ شمال إفريقيا وهذا ما نجده عند اليهودي آنذاك ما جعل الرّوائي ينسب اسم اليهود إلى المزابي اللّذان يشتركان بميزة الفِطْنَة والذكاء في التجارة، وقد ذكر لنا صفات الخُلقية بواسطتها يمكن التعرف على جنس المزابي في قوله: "هؤلاء العرب المعروفون بقامتهم الأقصر والأمتن من بقية الشّعوب الأخرى، ووجوههم المسطحة غالبا والأكثر أتساعا، والشفاه الغليظة، العيون المغروزة في كثير من الأحيان تحت حواجب مستقيمة بالغة الكثافة...".[1]

فالكاتب ميّز بين المزابي والأجناس الأخرى من مثيلاته وذلك من خلال الوصف الدّقيق لخُلقه، فبالنسبة للسّارد كلّ بني مزاب يتصفون بهذه الصّفات.

اعتبر الكاتب مزاب مستقلة عن الجزائر ووصفها بأنها جمهورية كما اعتبرها أنهم من المستحيل "إيجاد مواطنامزابيًا عاطلاً عن العمل، لذا ينعدم الفقر والتسوّل فيها أمّا المحتاجين فقد خصّص لهم قسم يعتني بهم بالإضافة إلى إتقانهم العديد من اللّغات فهذا هو المزابي حسب موباسان"[2]، وإذا أردنا المقارنة بين المزابي واليهودي حسب السّارد الذي أظهر ميله وإعجابه بالمزابي وهذا الأخير يعمل جاهدًا على كسب قوته اليومي بكلّ نزاهة، أمّا اليهودي فلم يعرف للنزاهة عنوانا،" حيث وصفهم بالمقرفصين في أركان قذرة وكريهة وقد نفختهم

[1] الرّواية، ص، ص 94-95.

[2] المرجع نفسه ، ص 96.

الشحوم يترقبون العربي كما يترقب العنكبوت ذبابة"[1]، وكأن العربي فريسة سهلة لليهودي يسهل قضمها كونها تعيش ظروف قاسية إبان الثورة.

[1] الرواية، ص93.

9- صورة اليهودي:

إنّ صورة اليهودي الواردة في نص بلاد الشمس سلبية، هي كما وردت في التراث الشعبي الشفوي مثل: حكاية اليهودي والزوجة الخائنة وكما وردت في الأدب العالمي في "تاجر البندقية" لشكسبير حيث لا هم له إلاّ جمع المال بأية وسيلة (الحيلة والمكر) وبالتالي يمكن القول أن موباسان صادق إلى حد بعيد وأصدر حكما علميا، على خلاف ما قاله على القائد بوعمامة، حيث خضع رأيه إلى السياسة الإستعمارية ففي قوله:" ...لا يتعامل اليهود في كل الجنوب إلاّ في الربا وبكل الوسائل الخسيسة الممكنة".[1]

فالكاتب يظهر لنا نوعا من النفور لليهودي فيعتبره منافق وليس له مبادئ أثناء المبادلات التجارية وسوء المعاملة مع الغير، فهو يعتمد على الحيلة والمكر لنيل ما يريده ولو على حساب كرامة الآخر، لذا أعتبره موباسان خطر على البشرية كونه يبحث عن فرصة لاستغلال العربي الذّي لا يملك إلاّ قطعة أرض يسترزق منها فينهبها اليهودي مقابل تسديده لديونه لذا يصفه الرّوائي (أنه سيد جنوب الجزائر كلّه)[2]، وذلك نظرا لضخامة الثروة التي كسبها جرّاء الخبث والخداع اللّذان يتصف بهما.

وفي قوله أيضا: "وكلّما توغّل المرء للجنوب يتكشف الجنس اليهودي بشكل قبيح يبرز الكره الشّديد الذّي تكنّه بعض الشعوب لهؤلاء النّاس...".[3]

ونستنتج من كلامه أنّ الجنس اليهودي يكون بكثرة بالجنوب الجزائري وأنّه ليس الوحيد الذّي يكنّ له مشاعر الكره والبغض، إنّما هناك بعض الشعوب الأخرى، حيث أنّه إستولى على التّجارة في بني المزاب.

---

[1] الرواية، ص 94.

[2] المرجع نفسه، ص 94.

[3] المرجع نفسه، ص 93.

10- صورة المرأة:

كانت المرأة الجزائرية في عهد الاستعمار الفرنسي العنصر المهم في الثورة الجزائرية، حيث وقفت مع الرجال جنبا إلى جنب لتحرير هذا الوطن الذي دافعت من أجله حتى اللّحظات الأخيرة، كما تحمّلت مسؤولية الكفاح في المدينة والأرياف، كما كانت مجاهدة ترفع السلاح، وتضع القنابل في أماكن وجود الفرنسيين، فجندت لخدمة الوطن، فلم تكتف بإعداد المؤونة وخياطة اللّباس وغسلها والعلاج والتّمريض، بل كانت تتولى أيضا دور الإتصالات وجمع المعلومات وإيواء الثوار والحراسة عليهم.

كلّ هذه المميزات حرّكت أقلام الصحافة العالمية فكتبت عن بطولاتها و تغزّلت بها، غير أنّ بعض المستشرقين الأوروبيين حاولوا تشويه المرأة الجزائرية، كما شوهوا تاريخها واستهزؤوا بها.

فجاء كتاب موباسان وكغيره من المستشرقين الغربيين يُشوهون المرأة الجزائرية خاصة والعربية عامة، وألفوا قصصا خرافية لا يتقبلها العقل أو المنطق، فالتّشويه الذي ذكره الكاتب كان إجحافا بحق المرأة البطلة الثورية، حيث صنفها على أنها من بنات الهوى اللّواتي لا همّ لهنّ إلاّ جمع المال ولو كان بطريقة غير شريفة وبعدها العودة إلى بيوتهن ويواصل القول: "مالك القهوة الذي تقصده تلك الفتيات لبيع أجسادهنّ هو دومًا زنجي..." وأراد تأكيد ذلك بوصف المكان ولكن لا يمكن التأكد ما إذا كانت هؤلاء النسوة جزائريات حقا مع أنه افتراض ضئيل جدًا أم كانوا نساء يخدمون فرنسا فأنسبهم الكاتب للجزائر".[1]

ويتابع الكاتب كلامه ويفاجئنا بكلام غريب حيث يظلم الشعب الجزائري يتهمه بأنه من يصنع الرّذيلة وهو أبو الرذائل والفواحش، وإذا أردنا نقده فنقول: "كيف لبلد إسلامي مثل الجزائر أن يمارس هذه الأنواع من الأعمال اللاأخلاقية والكاتب نفسه إعترف في هذه الرحلة

[1] الرّواية، ص 41.

أن الشعب الجزائري تطغي عليهم النظرة الدينية، والدين أكبر ملهم وهذا الأخير فنّد كل رذيلة وفحشاء وباطل. وهذا التشويه يمس كرامة الشعب الذي ضحى بحياته من أجل رفع راية الوطن واسترجاع حريته.

ولم يكتف بذلك وإنّما واصل كلامه بمحاولة المساس بالتاريخ العريق للجزائر بقوله: "غالبا ما نجد في التاريخ أمثلة لهذه الشهوة الغريبة القذرة... دخل هذا الحب الشاذ في أخلاقيات إفريقيا في العمق حتى إعتبره العرب طبيعيا كالحب الآخر، من أين جاء إنحراف الغرائز؟ من عدّة أسباب دون شك، أهمها قلّة النّساء، إذ أن غالبيتهن محجوزات من طرف رجال أغنياء قد يتزوجن أربع نساء شرعيات بالإضافة إلى عدد من الجواري إذا استطاع إطعامهن"[1] وفي هذا الكلام نستنتج أنّه يحاول تشويه تاريخ وأصالة الجزائري والإستهزاء حتى من الأحكام الدينية كونه يلمح إلى تعدد الزوجات التي حللها الدّين الإسلامي والعدل بينهم.

كما عبّر عن رؤيته السلبية للجزائر حيث إنه يستعمل كلمة عربي عوض كلمة جزائري أو مسلم كما وصفه بالمتخلق والأميّ وشعب لا يتطور ولا يعرف معنى للتّحضر.

في قوله: "إرث فاسد عند الشعب الرحل الأمّي هذا، الّذي لا يكاد يقدر على التحضر، ومازال حتى اليوم كما كان في أزمنة التوراة"[2]، وهذا تلخيص عن الشعور بالبغيضة والإحتقار لشعب وصفه بالأمّي و العاجز عن التحضر والتقدم.

[1] الرواية، ص 42.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

11- صورة الفرد الجزائري من المنظور الغربي:

تظهر نظرة الغرب إلى الفرد الجزائري جليًّا في روايتنا هذه، حيث شوّهها من كلّ الجوانب وفي كل ظاهرة رآها إلاّ وأبدى نظرته الدّونية والإحتقاريةإبتداء من شخصية بوعمامة التاريخية التي من المؤكد أنّها من وحي خيال الكاتب المقتنع على ما يبدو بما تروجه السّلطات الإستعمارية التي تجرم كلّ الجزائريين وتدافع عن حقّها في الوجود، بالإضافة إلى هذا نجده أيضا قد مسّ نزاهة البورجوازي الجزائري الذّي يخدم السّلطة الإستعمارية، حيث لا يحق له إنتقاد تلك السّلطة وإن فعل يواجه بالإزدراءوالإستخفاف ويظهر ذلك في الصفحة سبعة من الرواية، ثم ينتقل إلى تشويه شخصية من شخصيات الوطن وهو القاضي المعروف بأنه يحكم بالعدل ويزهق الباطل لكنّ الكاتب حاول تشويه ذلك بقوله الرشوة مقابل الطّعن في الأحكام أمّا القاضي الفرنسي فشخصيته نزيهة لانّ رشوته غير ممكنة وهكذا يحسم موباسان رأيه. فالفساد متجذّر في الجزائر والنّزاهة متأصلة في الفرنسي كون الجزائري لا يسدّد ديونه وأنّه حسب قوله لصٌّ دون إستثناء شعب غريب طفولي لا يملك بيوتا باستثناء أقمشة مشددة على عصا، أمّا حديثه على الرّحيل المستمر للجزائري لسكان الجنوب فهو يريد القول بأنّ الشخصية الجزائرية لا تتعلق بالأرض ولا تملك روح الإنتماء إلى الوطن.

فالكاتب لم يكتف فقط بتشويه أبناء هذا البلد بل عمد أيضا إلى احتقار والإشمئزاز من المدن والأماكن التي يتواجد بها، فهذه المدن اعتبرها غير مهمة، غير متوفرة على أدنى شروط العيش فهو يفسره بالتخلف الذي يعيشه هذا الشعب مقارنة بالمدن الأوروبية التي تعرف العلم والرقيّ والجمال والتّطور، أما حديثه عن البيت الجزائري فلم يتوان أيضا في تشويهه فهو ليس وسيلة للرّاحة والإلهام كالبيوت الأوروبية التي تمتاز بالرّفاهية والإستقرار، كما يقدم لنا وصفًا مفصلاً للخيمة الصّحراوية، نافيًا عنها صورتها الإيجابية التي يحتفظ بها الأوروبي في مخيّلته فهي حالة مزرية.

ولم يبد الكاتب إهتمامًا بالمساجد الجزائرية على كثرتها وأهميّتها التّاريخية ولكنّه إهتم بطريقة بناءها وجمالها وطريقة تزيينها.

فمن خلال قراءتنا "**لرحلة إلى بلاد الشمس**" الكاتب الفرنسي موباسان لم يتوان في التهجم وانتقاد كلّ ما هو جزائري وتشويهه لدى الآخر وإظهاره بصورة دونية ومحتقرة لا تخدم هذا البلد ولا تستحق التواجد فيه ومقارنتها بمرابع صباه أوربا التي إعتبرها جنّة ونعيم تحقق السّعادة والتقدم والعيش الرفيه فيها.

12- تقنية الرّوبورتاج:

من المعلوم أنّ نص الرحلة "رحلة إلى بلاد الشمس" كانت مهمة صحفية قام بها الكاتب لمدة ثلاثة أشهر، عرفت رواجًا كبيرًا.

ففي كلّ عمل صحفي يعرف" بأنّ الصّحفي يعتمد على تقنية الرّوبورتاج التي تقوم على التغطية الإعلامية لحدثٍ ما أو نقل تقرير خبري للمتلقي، يوجِزُ بدقّةٍ تفاصيل ذلك الحدث، من دون الحرص على التأنق في اللّفظ والتجويد في العرض لأنّ أساسه الحرص على نقل مجريات الحياة[1]".

ويظهر إستخدامه لهذه التقنية في قوله: "المعلومات الوحيدة المؤكدة ما حصلنا عليه من السّجناء الإسبان الفّارين من بوعمامة إستطعت أن أتكلم مع أحد هؤلاء السجناء بمساعدة مترجم"[2]، فهذا القول يشبه كثيرا الرّوبورتاجات التّحقيقية الصّحافية وربّما يميل إلى التقرير العسكري كون الكاتب كان مُجنّدًا في فترة ما في حياته بالبحرية الفرنسيّة.

إستطاع الكاتب أن يَبرع في كتابته لهذه الرّحلة كونه ينتمي إلى فرنسا فكانت له تسهيلات كثيرة منها مرافقة الجيش الفرنسي والإطّلاع على وثائقه السّرية في قوله: "رأيت بأمّ عينيّ في ليلةٍ واحدةٍ النّار تندلع في ثماني نقط مختلفة وسط الغابة على بعد عشرة كيلومترات من المساكن، من المؤكّد أنّنا لو قمنا بمراقبة القبائل بشكل نهائي لتوقّفت الكارثة التّي تحدث كل أربع أو خمس سنوات بشكل نهائي".[3]

وهنا المؤلف يدعو إلى تشديد القمع على الجزائريين جميعا نظرًا لقيام بعضهم بحرق أراضي يمتلكها الفرنسيّون مع العلم أنّ تلك الأراضي كانت ملكًا لهم، لكنّها سُلبت من طرف

---

[1] عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق،دط، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1989، ص 245.

[2] الرّواية، ص 27.

[3] المرجع نفسه، ص 24.

المعمّر بكلّ قوّة وقهر، فتقنية الرّوبورتاج لعبت دورًا مهمًا في نقل الكاتب للأحداث وتعبيره بصراحة عن موقفه العدائي إتجاه الشعب الجزائري وانعدام التعاطف معه.

المبحث الثاني: العتبات الخارجية.

1- دراسة صورة الغلاف الخارجي

إنّ أوّل ما يجذب القارئ لقراءة أي كتاب هو غلافه الخارجي ، أين يتفنّن الكاتب ويبدع في تصميمه، من أجل جذب المتلقي ولفت انتباهه، وتشويقه من خلال إختيار "العنوان، الألوان ،استعمال لوحات تشكيله، وصور إبداعية كونها تعبر عن ضرورة أدبية ونقديّة ملحة، نظرا لبعديها الدّلالي والنّقدي"[1].

«فالصّورة هي خطاب يخدم مضمون الرّواية، قد يثير في ذهن القارئ العديد من التساؤلات، فهي نوع من التّناص غير الاستشهادي وإن كان اختيارها مدروسا تبعا لمضمون النّص ومنحى مسار السرد، فلا يمكن تجاهل وغض النّظر عن غلاف الرّواية لما يحمله من دلالات وصور ذات أبعاد مختلفة. كاللّون، اسم المؤلف، العنوان وشكل الكتابة، ولكن إذا كان الغلاف في هيئة لوحة فنّية فمن المؤكّد أن يلفت ذلك نظر القارئ ويسترعي انتباهه»[2].

ففي تحليلنا للغلاف الخارجي للرّواية نجد أن اسم الكاتب بارز بلون أسود وبخطّ غليظ، يتصدّر مقدمة الغلاف تحت اسم "غي دوماباسان" وذلك كونه هو كاتب هذه الرّحلة، فتعتبر واحدة من أهم المؤلفات التّي كتبها الفرنسيون عن الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية أما عن الكتابة الغليظة وباللّون الأسود نسبة إلى صاحب الكتاب[3].

---

[1] حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، ص 58.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] أنظر غلاف الملحق.

وإذا انتقلنا إلى العنوان فهو ينقسم إلى شطرين:

الشطر الأول: "رحلة إلى الجزائر" يحمل دلالة تعيينيّة مشيرا إلى الجزائر، بوصفها بلدا مجهولا نسبيّا لدى عامة الفرنسيين، ممّن لا يقيمون فيها، فأتى العنوان بلون أخصر بارز في وسط الغلاف الخارجي، فاللّون الأخضر يحمل دلالة سيميائية وهو يرمز إلى السّلم والسّلام والأمان وحياة أفضل.

أما الشطر الثاني: من العنوان "إلى بلاد الشمس" المخطوط بخط بارز ذو حجم متوسط، باللّون الأحمر الذي ينفتح على العديد من الدّلالات السيميائية، فقد يقصد "ببلاد الشمس" صحراؤنا الشاسعة والواسعة والتي تمتاز بشدة الحرارة. فله وظيفة تفسيرية زاخرة بالمعاني الإيحائية. فالسّفر إلى الصحراء كالسّفر إلى المجهول أو نحو الموت المحتوم، فأوّل تأويل يتبادر إلى ذهن القارئ هو احمرار الشمس المحرقة، أمّا تأويلنا لكتابة الشطر الثاني فيتمثّل في سفك الدّماء جراء أساليب التعذيب والقمع الوحشي من طرف المستعمر، وزهقه عن ما يزيد عن مليون ونصف المليون شهيدا، إبّان الثّورة التحريرية إلى غير ذلك من الدّلالات والتّأويلات التي يمكن استخلاصها من هذا العنوان. وهو يفسّر القسم الأوّل والمشوق لقراءة النّص، خاصة أنّه مكتوب لفائدة قراء بعيدين عن الصّحراء، وربّما لم يسبق لهم أن رأوها، لذلك فإنّ العنوان يمارس سحره وجاذيته من خلال الإشارة إلى الجزائر باعتبارها مكان تراهن فرنسا على إخضاعه لسلطانها[1].

أمّا الصّورة الفوتوغرافية الموضوعة في أسفل الغلاف، فهي لوحة فنيّة لامرأة جزائرية، قد صاحبت الكتاب الأصلي المكتوب باللّغة الفرنسية في كلّ حالاتها، أمّا في الكتاب المترجم إلى العربي فجمعها في صورة واحدة وزينها بلباس تقليدي عاصمي مكسوّة بالحلّي "الفنتازيا." وقد ظهرت الصورتين لنفس المرأة الجزائرية، فالصّورة البارزة تبين لنا جمال المرأة

[1] أنظر غلاف الملحق.

العفيفة الطاهرة والمحافظة على مبادئها وشرفها التّي يشهد لها العالم بذلك، أمّا الصّورة الخفية فهي تلميح على أنّ هناك تشويه لصورة المرأة.

كما يمكن أن يقصد منها بلد الجزائر، ففي الصّورة البارزة تظهر لنا جمال مناظر الطّبيعة الخلابة للجزائر وسحر مدنها، أمّا الصّورة الخفية (حسب الكاتب) أنّها لا تملك تاريخ ولا تراث ولا مبادئ.

و في الختام يظهر اسم المترجمة "نادية عمر صبري" السّورية المخطوط بخطّ أسود رقيق مقارنة باسم الكاتب وذلك تواضعا له كونه مبدع فرنسي، وفي الجهة الخلفية للكتاب تظهر صورة المرأة بشكل صغير وأسفله نجد العنوان الرئيسي للرحلة بـ "رحلة إلى الجزائر" إلى جانبها تظهر مقدمة المترجمة أعيدت كتابتها من طرف النّاشر.

خاتمة

الخاتمة:

انتهى البحث بجملة من النتائج المتمثلة في:

- تعتبر أحداث الرّواية وتفصيلاتها الموضوعيّة انعكاس لنظرة المجتمع الغربي للفرد الجزائري.
- تطرح الرّواية عدّة أفكار ورؤى الآخر، وذلك عن طريق اعتماد كلمة "رحلة" أي التنقل بين مدن الجزائر.
- رواية "رحلة إلى الجزائر" "إلى بلاد الشمس" لغي دوموباسان تلخصّ لنا النّظرة الدّونية والعدائيّة للعربي.
- اهتمام موباسان بالأماكن أكثر من الشخصيات ،يندرج في إطار الاستراتيجية الاستعماريّة التّي لا هَمّ لها إلاّ الاستيلاء على الأرض وخيراتها.
- ظهور العتبات النّصية الدّاخليّة والخارجيّة، بدءًا من عنوان الرّواية والعناوين الدّاخلية التّي ساعدتنا على الفهم الجيد لها.
- عمد الكاتب تقديم صور الشّخصيات العاملة في نص الرّحلة ،بالإضافة إلى المشاهد المصوّرة لتاريخ الجزائر والتّي امتازت بالتضخّم النّصي.
- رصد التّفاصيل الدّقيقة في كيفية سرد أحداث الرّواية التّي ترجمت الواقع الحقيقي للجزائر.
- إظهار الكاتب الفرنسي الصّورة الأوروبّية بأجمل حلي وتشويه ووصف الجزائر بأبشع الصّفات في نظر الآخر.
- رغم سلبيّات الكتاب إلاّ أنّ الكاتب خدم الجزائر والإنسان الجزائري عن قصد أو غير قصد، بإنتاجه هذه الرّواية، حيث عكس لنا صورة الجزائر والإنسان الجزائري وعلاقته بالآخر، في فترة من فترات تاريخ الجزائر، فلو لا هذه الرّواية لغابت عنّا أشياء مهمة

من الذّاكرة الوطنية، يكفي مثلا تأكيده لذكر أسماء المدن الجزائرية، وتأكيده على شخصية من شخصيات الجزائر"بوعمامة ".

- للغلاف الخارجي دور إغرائي، فقبل تطرقنا لمضمون الرّواية، ظنّنا أن الكاتب سيذكر كلّ إيجابيات الجزائر وأنّ هذه الأخيرة ستكون في نظره ضحيّة وذلك من التأويل الأول للعنوان "إلى بلاد الشمس" ولكن تفاجأنا بسرده أحداث تشوّه الجزائر وتقلل من قيمتها.
- إنّ الاهتمام بهذا النوع من الأعمال يعدّ إحياء للتّاريخ وخدمة للوطن الّذي نحن مجبرون على الدّفاع عنه ومنع المساس بهويته.
- الآليات السردية التي اعتمدها غي دو موباسان تخييلية في الرواية .

المصادر والمراجع

المصادروالمراجع

I- المصادر:

1- غي دوماباسان، رحلة إلى الجزائر (إلى بلاد الشمس)، تر: نادية عمر صبري، ط1، ورد للطّباعة والنّشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2007.

2- غي دوماباسان، رواية صديقان وقصص أخرى، تر: سيلفانا الخوري، ط1، هيئة أبو ظبي للسّياحة والثقافة 2013.

II- المراجع:

1- إيريك وولف، أوروبا ومن لا تاريخ لهم، تر: فاضل جنكر، ط1، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، يناير، 2003.

2- اسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2003.

3- باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، ط1، دار العلم للكتب الحديثة الجزائر 2009.

4- التواني مصطفى، دراسات في روايات نجيب محفوظ الذهنية، دط،الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، أوت 1986.

5- جاك لومبار، مدخل إلى الإتنولوجيا، تر: حسن قبيسي: ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،دت.

6- حمود العوري، التّراث الشّعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية، ط2، عالم الكتب، 1981.

7- حمودة ماجدة، مقاربة تطبيقية في الأدب المقارن،دط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

8- الحسين بن محمد الورثلاني، رحلة الورثلانية، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد بن أبي شنب،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974.

9- حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير)،دط، دار الأمل النشر والتوزيع، تيزي وزو، 2012.

10- رالف لينتونبيلز، مقدمة في الأنتروبولوجية العامّة،دط، الجزء الأوّل.

11- رشيد فلكاوي، إشكالية اللّهجات المحلية المحكميّة في الدّراسات الأكاديمية، منشورات مخبر تحليل الخطاب، 2013.

12- سعيد بن كراد، عبد الفتّاح كيليطو، سيمولوجيا الشّخصيّات الرّوائية عند فيليب هامون، د ط، دار الكلام، الرّباط، 1990.

13- سيد أحمد قاسم، بناء الرّواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د ط، الهيئة المصريّة للكتاب.

14- ستار ناهضة، بنية السرد في القصص الصرفي للمكونات والوظائف والتقنيات، دط،دراسة من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2003.

15- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزمن، السّرد، التبئير)، ط3، المركز الثقافي العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1997.

16- سمير المرزوقي جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دط، الدّار التّونسية للنشر، تونس.

17- الطيب بن ابراهيم، الاستشراق الفرنسي خاصة في الجزائر،دط، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

18- عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د س.

19- عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن،دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.

20- عدنان بن ذريل، النّقد والأسلوبية بين النّظرية والتّطبيق،دط، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1989.

21- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، (1881–1908)،دط،الجزء الأوّل، الجزائر، 2010.

22- عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جونيت من النص إلى المناص)، ط1، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، 2008.

23- عبد الرحمان منيف، النّهايات، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2000.

24- فوزي القنتيل: الفولكلور ما هو؟، دط، دار المعارف، مصر، 1956.

25- كلود ليفي ستروس، الأناسة البنائية، تر: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1995.

26- محمد عبدو محجوب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية دراسات نظرية وتطبيقية،دط، دار المعرفة الجامعية، د س.

27- محمّد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، ط2، دار المعارف، 1982.

28- محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري،دط،دار المعارف، القاهرة، 1997.

29- محمد السويدي، محاضرات في الثقافة والمجتمع،دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

30- المحايد بن عبد الحميد، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999.

31- محمّد السّويرتي، النّقد البنيوي والنّص الرّوائي، د ط، إفريقيا الشّرق، 1991.

32- محمد حسن الغامري،مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة،ديوان المطبوعات الجزائرية.

33- نخبة من أعضاء هيئة التّدريس، محمّد عبّاس إبراهيم وآخرون، الأنثروبولوجيا علم الإنسان، دط، دار المعرفة الجامعية، 2009.

34- نخبة من أعضاء هيئة التّدريس، محمّد عبّاس إبراهيم وآخرون، الأنثروبولوجيا علم الإنسان،دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009.

35- نخبة من الباحثين، وآخرون، مدخل إلى التحليل البنيوي، ط1، دار الحداثة، د س.

36- يحي مرسي عبد القادر، أصول علم الإنسان، الأنثروبولوجيا، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنشر، جزء الأوّل، الإسكندرية.

III- المعاجم:

37- إبراهيم مذكو، وآخرون،المجمع الوسيط، ط3، مطابع الأوقست، 1985.

38- دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ط1، دار الطّليعة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1981.

IV- المجلاّت:

39- عبد الحميد بورايو، علاقة الأدب الشعبي بالعلوم الإنسانية الأدب الشعبي والأنتروبولوجيا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 1، جامعة تلمسان، الجزائر، 1994.

V- الرّسائل الجامعية:

40- مذكرة تخرّج، يسمينة سعودي، النّظام العسكري والإداري في مشدالة ما بين (1830–1997)، مذكرة لنيل الماجيستير تاريخ الحضارات، جامعة الجزائر، 2005–2006.

VI- الأنترنيت:

1 – حبيب بوزوادة ،المجلة الثقافية الشهرية ،الإبداع و الحقيقة في الأدب الكولونيالي http./w.w.w.ALUKAH.NET/ charia

2–جميل حمداوي، لماذا النص الموازي؟.

htt:// w.w.w.arabian creativity.com/j-

3–من ويكيبيديا، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي

4–من ويكيبيديا، 18ar. Wikipedia.org/wiki ماي 11,002

5–ويكيبيديا الموسوعة الحرة يوم 21 مارس 2015 سا 45:00.

الملاحق

الملاحق

سعيدة ⟵ ص 15

إقليم وهران ⟵ص 13

شلف ⟵ ص13

ولاية الجزائر ⟵ص 30

متيجة ⟵ ص 30

الأغواط ⟵ ص 30

بوسعادة ⟵ ص 30

أولا د نايل ⟵ ص 31

مدية ⟵ ص 34

بوقراري ⟵ص 34

سطيف ⟵ ص 36

بوغار ⟵ ص 36

الصحراء ⟵ ص 38

بوجيه ⟵ ص 45

بسكرة ⟵ص 50

الجلفة ⟵ص 50

خراطة ←——ص 56

أولا د نايل ←——ص 63

وهران ←—— ص 64

مسيلة ←—— 77

مزاب ←—— ص 94

قسنطينة←—— ص 98

من الجزائر إلى تونس ←——ص 101

المصطلحات المعجمية:

1	أنثروبولوجيا	Anthropologie
2	أنثروبولوجيا الثقافية	Anthropologie culturelle
3	أنثروبولوجيا الطّبيعية	Anthropologie physique
4	أنثروبولوجيا اجتماعيّة	Anthropologie social
5	اثنوجرافية	Ethnographie
6	إيديولوجيا	Idiologie
7	علم الاجتماع	Sociologie
8	القوم	Nation
9	تاريخية	Historisme
10	نظام اجتماعي	Système social
11	مجتمع	Société
12	استشراق	Orientalisme
13	شخصية	Personnalité
14	شخص	Personne
15	أعراف	Normes Surat
16	مقارنة	Comparaison
17	نظام زمني	L’ordre temporelle
18	زمن القصّة	La fiction
19	زمن السّرد	Le temps de la natation
20	سرد	Narration
21	وظيفة إغرائية	Fonction seductive
22	عنونة	Titrologie
23	دلالة تعيّنية	Dénotative
24	إيحائية	Connotative

Inter titres	25 عناوين داخليّة
Littérature de voyage	26 أدب الرّحلة
Seuils	27 عتبات نصية
Le para texte	28 موازي نصي
Tran textualité	29 متعاليات نصيّة
Péri texte	30 نص موازي داخلي
Fonction référentielle	30 وظيفة مرجعيّة
Reportage	31 تقنية الربورتاج
Le concept de l’imagination	32 مفهوم تخيلي

غي دُو مُوبَاسَان

رِحلَةٌ إلى الجزائر

«إلى بلاد الشمس»

ترجمة: نادية عمر صبري

فهرس الموضوعات

إهداء.

شكر وعرفان.

المقدمة 2

الفصل الأول: الأنتروبولوجيا

المبحث الأول: الأنتروبولوجيا

الخلفية التاريخية للأنتروبولوجيا..... 8

مصطلح الأنتروبولوجيا 9

فروع الأنتروبولوجيا..... 10

مجالات الأنتروبولوجيا..... 12

أهداف الأنتروبولوجيا..... 15

خصائص الأنتروبولوجيا..... 16

صعوبات الأنتروبولوجيا..... 18

المبحث الثاني: الإستشراق

المدخل..... 21

مصطلح الإستشراق 22

نشأة الإستشراق..... 23

مراحل الإستشراق..... 24

الإستشراق السلبي 25

الإستشراق الإيجابي..... 27

المبحث الثالث: موباسان الرّحال والأنتروبولوجي (الرّاحل إلى بلاد الشّمسس)

أدب الرّحلات 29
نبذة عن الأدب الفرنسي 31
السيرة الذاتية للكاتب..... 33
تقديم الكتاب..... 36
تلخيص الكتاب..... 38
تلخيص مقدمة المترجم..... 41
دراسة الصورة الأدبية..... 42

الفصل الثاني: تحليل الرّواية

المبحث الأول: تحليل الرّواية

مدخل..... 45
مصطلح العتبات النصّية..... 48
أنواع العتبات النصّية..... 48
1- دراسة العتبات الداخلية للرّواية من حيث:..... 51
أ- البنية الزّمانية..... 51
ب- البنية المكانية..... 61
ج- بنية الشّخصيات..... 67
د- دراسة: الثّقافة، العادات والتقاليد، الطّقوس الدّينية..... 73
2- دراسة الصور والدلالات من حيث:..... 84
صورة الفرد الجزائري (الصحراوي)..... 84

صورة اليهودي..... 86
صورة المرأة..... 87
3- دراسة صورة الفرد الجزائري في نظر الغرب 89
4- تقنية الرّوبورتاج..... 91

المبحث الثاني: تحليل الرّواية من حيث:

دراسة العتبات الخارجية..... 93
أ- دراسة الغلاف الخارجي للرّواية 93
ب- دراسة العنوان..... 93
ج- إسم الكاتب..... 93
د- إسم المترجم..... 93
الخاتمة..... 97
قائمة المراجع..... 100
الملاحق